خلف التل

رواية

- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشره وتوزيعه .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

مركز الحضارة العربية

٤ ش العلمين - عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات - القاهرة

تليفاكس : ٣٤٤٨٣٦٨

كوثر عبد الدايم

خلف التل

رواية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾

صدق الله العظيم

«سورة الأنبياء، آية - ٣٠»

مقدمة وشكر

بدأت كتابة هذه الرواية يدفعنى إحساس بقيمة هذه المنطقة من بلدى رغم صعوبة الحياة فيها.. لكننى وبعد أن كتبت عدة صفحات بها وجدت أن من الضرورى التعرف على المكان بنفسى وإحساسى.. فعرضت الفكرة على أخى الأصغر المهندس سعيد عبدالدايم وطلبت منه أن يشاركنى الرحلة إلى الوادى الجديد، الإطار الذى تدور فيه أحداث الرواية ووافق..

بقى أن أطمئن إلى المكان الذى يمكن أن أقيم فيه والمواصلات التى يمكن أن أحتاج إليها وكتبت إلى السيد المحافظ فى ذلك الوقت الأستاذ «البرنس» عام ١٩٨٠، وكم أسعدنى رده على خطابى بالموافقة على السفر بالطائرة على نفقة المحافظة والإقامة فى الفندق السياحى الكبير بمدينة الخارجة والذى أقمت فيه من ٨٠/٤/٢ إلى ٨٠/٤/٩، وهكذا وفرت لى إدارة المحافظة من علاقات عامة وسياحة واستصلاح الأراضى والبحوث المائية والآثار كل ما يمكن تقديمه لنا ولا يسعنى إلا أن أشكر الجميع وأخص بالشكر المهندس الشاب سعيد حسين الذى نزح إلى الوادى الجديد.. أرض الأمل منذ قيام ثورة يوليو تصاحبه زوجته.. وقد رافقتنا طوال الرحلة وسهل لنا أمورًا كثيرة..

أدعو من الله أن يوفق الجميع خاصة بعد أن أصبح الأمل أكثر منالا بالمشروعات الكبيرة التى بدأت بعد إتمامنا لهذه الرحلة بعدة سنوات.

المؤلفة

كوثر عبدالدايم

(١)

جلست الأم تحادث القطة البيضاء الصغيرة وكأنها تحادث ابنة لها تقص عليها أيام شبابها الذى ولى، والقطة الناصعة ترنو إليها بعينيها وكأنها تحاول فهم ما تتفوه به مربيتها وولية نعمتها.

حديث مكرر لا تجد من يجلس إليها لسماعه. كانت لها فى القديم جارات.. نسوة وفتيات يهرعن إليها كلما فرغن من أعمالهن لسماع حديثها العذب. أما اليوم.. وبعد أن انتقل بها ابنها ممدوح إلى هذا المكان الموحش، فلا جليس ولا أنيس.

حاولت أن تثنيه عن هذا الأمر.. باءت محاولاتها بالفشل.. أخذ يشرح لها المستقبل الذى ينتظره فى الصحراء كمهندس زراعى كفء. أحال لها رمال الصحراء إلى ذهب منثور فى كل مكان.. أحال حرقة الشمس إلى طاقة تبدد آلام البشر.

ابتسمت الأم أمام أحلامه العظيمة وأذعنت للرحيل. المكان موحش. الرمال محرقة فى الظهيرة، زمهرير فى الليل. وضع بالبيت جهاز تكييف.. قام ببناء مزرعة قريبة من البيت. ثم جلب لها العمال. شعرت ببعض الأمان عندما حضر العمال وجدت أناسًا ممكن أن تتحدث معهم.

ألف العمال التوقف لالتقاط بعض النصائح من الأم الوحيدة. تنصح. تلقى بالأوامر وكأنها صاحبة العمل.. يضحك منها ممدوح أحيانًا. أحيانًا أخرى يخفى ضيقه حتى لا تتألم..

استمرت فى الحديث إلى قطتها:

كان زوجى يقول دائمًا.. ممدوح طفل شاذ لا أدرى ماذا أفعل له؟! الحقيقة أنه ورث أشياء كثيرة عن أبيه الذى كان يحب الوحدة ويضيق كثيرًا من زيارات بنات الجيران. تسألين عنه الآن؟ معك حق فأنت تأكلين

الكتاكيت التى يقدمها لك بدعوى أنها مريضة. شىء غريب.. المهم أنه اليوم فى المدينة. ذهب ليحضر لنا شايًا وسكرًا وأشياء كثيرة ستحضر لنا أيضًا خادم تؤنس وحدتى.. هل ستغارين منها؟ لا.. لا.. أنت شىء آخر. تكورت القطة واضعةً رأسها الصغير فى ثنايا جسمها المرن الزاهى وأخذت تكر ذلك الكر الذى تعودت عليه الأم.

دقت الساعة الثامنة مساءً. نظرت الأم من النافذة، الرمال ممتدة إلى حيث تلتقى بالسماء من كل جانب. لم تكن تدرى أين البحرى والقبلى للوهلة الأولى لولا أن حدد لها ممدوح مكان القبلة مستعينًا بالبوصلة. ساورها الشك فى صحة تحديده، تأملت الشمس ساعة الشروق وساعة الغروب، وأخذت تحسب المسافة. أخيرًا اطمأنت لتحديد ممدوح وبوصلته الحديدية.

السماء صافية. النجوم ترصعها برغم الشتاء. أخذت تبحث عن النجم القطبى الذى درسته فى المدرسة فى طفولتها. بحثت وبحثت دون جدوى تمتمت باحتمال مغادرتها المكان أو انفجارها فى السماء. لم يدر بخلدها احتمال ضعف بصرها وعدم قدرتها على رؤيته.

فجأة لمع ضوء بعيد على الطريق الممتد الملتوى وسط الصحراء. خفق قلبها. وصل ممدوح أخيرًا. توجهت إلى المطبخ لتعد العشاء.

الحساء الساخن أفضل طبق بعد رحلة شاقة فى برد الشتاء. قليل من شطائر اللحم، بجانبه برتقالة.

أيضًا الخبز عليها تسخينه. وقفت أمام الموقد وفى لحظات كان كل شىء معدًا.. قبل أن تضعه على المائدة كانت طرقات ممدوح الرقيقة على الباب. هرولت وفتحت له.. لم يدخل ممدوح على عجل كعادته. دفع إلى الباب بسيدة لم تتضح ملامحها أول الأمر للظلام الخارجى.

أضاءت الأم مصباح الطريق. غمر الضوء المكان فجأة. عادت الأم للوراء فى دهشة!!

- ما الذى أتى بها اليوم؟ أين الخادم؟!

عشرات الأسئلة تزاحمت برأسها عند رؤية سوسن لم تنق منها إلا على صوت ممدوح الذى احضر أشياء كثيرة من العربة.. تساءل فى عدم اكتراث:

- لماذا لا تدخلين؟

قالت الأم فى ارتباك:

- تفضلى يا ابنتى.

دخلت سوسن فى ارتباك مماثل.. همست:

- هل تذكرينى يا تانت؟

- طبعًا.. طبعًا.. الست سوسن؟

- نعم.

قاطعها ممدوح مطالبًا بالطعام.

نهضت الأم إلى المطبخ. فجأة وجدت سوسن وراءها تتناول منها الأطباق. أدهشها أنها تتحرك فى البيت وكأنها أقامت فيه من زمن.

جلسوا إلى المائدة يتناولون العشاء فى صمت، وفى رأس كل منهم أكثر من سؤال يلح عليه، ويتردد فى الإفصاح عنه. حتى انتهوا من تناول الطعام.

تناولت الأم الأشياء التى أحضرها ولدها معه بالفحص والتمحيص. ظلت يداها تعبثان بداخل الأكياس حتى عثرت على ضالتها. الكيس الكبير المملوء بالدقيق. كلام قيل من قبل ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان.

لكن الطاحونة الوحيدة القريبة من المزرعة متعطلة والخبز الموجود لا يكفى إلا يومًا واحدًا.

وراح فكرها فى القرى المجاورة. ترى ماذا يفعلون فى تعطيل هذه الطاحونة؟

ألا يكفى مشقة نقل الماء من البئر الكبيرة التى حفرتها الحكومة والتى تتوسط عدة قرى؟!

وتنبهت على صوت ممدوح يتحدث إلى سوسن:

- هنا الحياة شاقة فى البداية. لكن المشكلات فى سبيلها إلى الحل بالتدريج.

قالت الأم:

- لو لم يحضر معه الدقيق لأكّلته الأرز بدلا من الخبز لعدة أيام.

قالت سوسن:

- وهل القمح متوفر؟

- نعم نقوم بشراء احتياجنا منه لمدة عام.

قالت سوسن:

- إذن نأكل إلى جانب الأرز البليلة.

قالتها فى مرح مستمد من حداثتها فى المكان ورغبتها فى التغيير، لكن الأم قطبت ما بين حاجبيها وقالت:

- هذا كلام!.. لكن فى الحقيقة لا يستطيع المزارعون الاكتفاء بذلك. رغيف الخبز عندهم اهم شىء.

قال ممدوح واضعًا نهاية لهذه المناقشة:

- اطمئنى يا أمى فالمحافظة تقوم الآن بإعداد مطحن كبير للقرى المحيطة بنا وفى هذه الحالة لن نعانى من تعطل المطاحن الصغيرة القديمة المتكرر.

- يبشرك الله بالخير يا ابنى.

قالتها وانصرفت حاملة بعضًا مما أحضر ابنها إلى المطبخ.

قال لها ممدوح وهى تنصرف:

- أعدى الحجرة المجاورة لك، لسوسن.

أومأت برأسها بينما نهضت سوسن التى كانت قد انتهت من طعامها فحملت معها أحمالها، واختفيا عن نظر ممدوح الذى آثر الراحة فى الفراش بعد تلك الرحلة الشاقة.

(٢)

استيقظت سوسن مبكرة على غير عادتها.. أطلت من حجرتها على المنزل.. سكون شامل. تأملت جوانب البيت وحجراته من الخارج. بيت فسيح.. متعدد الحجرات، حجرتان للنوم أضيفت إليهما حجرتها. وباقى الحجرات ما فائدتها!!

أخذت تعدها.. تسع حجرات.. فى هذه الصحراء؟

تذكرت بيتها الضيق مع زوجها السابق. حجرتان فقط. عادت تقارنه بممدوح. هى تعلم أنه ورث تركة كبيرة عن أبيه وحافظ عليها واستثمرها فى أشياء كثيرة لا تدرى عنها شيئًا.

المهم أنه شىء آخر غير كلا الزوجين اللذين أنفقت عدة سنوات مرتبطة بهما الواحد بعد الآخر.

كل منهما كان فقيرًا. الأول تاجر بسيط.. الثانى موظف بشركة..

أما ممدوح.. أما ممدوح فشاب غنى وسيم على خلق، كل ذلك كانت تعلمه عنه من قبل وهما جيران، ولكن لم تسنح الفرصة للقاء تحاول فيه جذب انتباهه إليها.

وتزوجت المرة الأولى ثم الثانية.. أما هو فلم يتزوج. وصار إضرابه عن الزواج - رغم توافر أسبابه - حوار الفتيات فى المدينة.

واخترق السكون دقات الساعة معلنة السادسة وسرعان ما ذابت الدقات فى السكون مرة أخرى.

تمتمت سوسن:

- هل يستحق ممدوح الحياة وسط هذا السكون المخيف؟

وظل السؤال بلا جواب لحظات حتى نسيته بانبهارها باللوحات المعلقة على الجدران تارة، والأثاث الفاخر الأنيق تارة أخرى..

ثم تلك الأبواب الأخرى والتى تزيد عن حجرات النوم، والغرض منها الذى تجهله.

ودخلت حجرتها تستلقى على الفراش وتسبح بفكرها فى مستقبل سعيد أضاء جوانب نفسها بالأمل..

نهضت نشطة إلى النافذة وفتحتها.. وقفت تتأمل الفضاء البعيد يلتقى فى خط منحن مع المساحة الرملية الشاسعة التى تبدو ساكنة للوهلة الأولى، فإذا تأملتها عن قرب لاحظت حركة بيضاوية للرمال من أثر الرياح وخطوطًا مرسومة بدقة عليها.. وعلى البعد تقف نخلات عديدة يتمايل سعفها فى هدوء.

التفتت إلى أقصى اليمين فرأت الأرض مخضرة تتخللها خطوط صفراء. تنهدت فى ارتياح، وهمت، بالعودة إلى الفراش. لم تكمل استدراتها فى الناحية الأخرى حتى تعلق بصرها بشىء غريب. عادت إلى النافذة. جسم غريب فى الفضاء يحوم بالقرب من المكان..

كرة كبيرة لامعة حولها زوائد دائرية.. أخذت تتأملها.. لابد وأن فى داخلها أحد.. تذكرت فجأة ما قرأته عن الأطباق الطائرة. همت بالصراخ. احتبس الصوت فى حلقها. تسمرت لحظات تتأمل المركبة. المركبة تدور دورة حلزونية صاعدة إلى أعلى تختفى، فى لحظة. فى سرعة أغلقت سوسن النافذة. عادت إلى الفراش ينتابها خوف شديد. مدت يدها بالغطاء حتى أخفت رأسها لتستعيد ما رأته.

دقت الساعة الثامنة. بدأت جلبة حقيقية بالبيت. الأم أخذت تهرول من ناحية المطبخ لإعداد وجبة الإفطار. ممدوح خارجًا من الحمام يستوقف أمه:

- أيقظى سوسن تساعدك فى إعداد الطعام.

- ليس هكذا من اليوم الأول. فلنعتبرها ضيفة اليوم.

- ولكنها حضرت لمساعدتك ومساعدتى.

- نعم، ولكن بصفتها ابنة مدينتنا وجارة قديمة.

- كما تشائين. المهم أعدى إفطار العمال أولا.

- ومساعدك.. هل يأكل وحده اليوم أيضًا؟

- لا.. لا لقد انتهى مما كلفته به، وسيعود اليوم إلى تناول الطعام هنا. هى فرصة أيضًا للتعرف على سوسن.

قال كلماته، وجلس فوق «البوف» الجلدى متخذًا من ساقه مقعدًا رافعًا يديه إلى أعلى وكأنه يبتهل بالدعاء.

خرجت سوسن إثر سماعها لهذا الحوار. ألقت بتحية الصباح على ممدوح. لم يرد عليها وظل كما هو لا يتحرك. أخذت تضحك محاولة إخراجه من جلسته التى تسمَّر عليها وهو شاخص ببصره إلى لا شىء. غير مهتم بها وكأنه لا يراها.. نظرت إليه لحظات.. جزعت، وتوجهت إلى المطبخ فى خطوات متعثرة وأنفاس لاهثة. بينما ظل ممدوح مشدودًا فى جلسته وكأنه يستقبل أصواتًا من بعيد تقترب وتبتعد وهو يحاول ويحاول.. أغلق الباب والنوافذ، وبدأ الصوت يتضح شيئًا فشيئًا.

- أنتم فى عصر الأنفجار السكانى.

تحسس الصوت فلمس فيه أنه صوت نسائى.

تمتم فى رعب:

- من أنت؟

- أنتم فى عصر الأنفجار السكانى.

- من أنت؟

- انظر إلى بعيد.

نهض ممدوح وفتح النافذة، ليرى مركبة صغيرة معدنية تحيط بها النيران تصعد إلى أعلى وكأنها كرة من لهب.

أخذ يتأملها محاولا فهم ما يحدث ويفسر وصول الصوت إليه بالحجرة بهذا الوضوح. وفى تلك اللحظة دخلت سوسن تخبره أن الإفطار معد، وجلس ممدوح إلى مائدة الطعام يأكل وهو شارد وقد استقر رأيه ألا يخبر أحدًا بما سمع أو رأى حتى لا يصاب أحد بالذعر.

حاول تبادل الكلمات حول الطعام والجو والمزرعة. لكنها كلمات أصبحت ناقصة. هكذا أحست الأم.. فوراء تآكل الحروف سر، ووراء الشرود أشياء لا تفهمها.

أما سوسن فلم تنس مشهد المركبة التى رأته. وآثرت هى الأخرى ألا تخبر أحدًا به وإن كان لم يصلها صوت مثلما وصل ممدوح.

شعرت أن هناك سرًا فى تلك البقعة من الصحراء، وأن ما رأته لم تره وحدها وإنما علم به ممدوح.

وانتهى الجميع من تناول الإفطار، وانصرف كل منهم إلى عمله. صار ممدوح يوزع العمل على العمال ويباشر تجاربه فى معمله المتواضع ومزرعته حتى يكاد ينسى الصوت، والكرة المضيئة التى شتتت تفكيره فى الصباح.

دخلت إليه سوسن فاستقبلها هاشًا.

- أهلا بسكرتيرتى الحسناء.

- سكرتيرتك أنت فقط؟

- ومن أيضًا؟!

- أمك.

- ماذا؟!

- أقصد..

- ماذا؟

- فقط أريد كسب قلبها.

- أرجو هذا.

- هى تنظر إلىَّ بحذر شديد.

- لماذا؟

- لأننى تزوجت من قبل مرتين.

- وتوفى الزوجان.

- وما ذنبى؟!

- تخاف.

- من أى شىء؟

- تخاف على ابنها.

- وأنت؟

- وأنا؟!

- نعم.. نعم.

- الأرانب زاد حجمها ضعفين وقدرتها على الإنجاب زادت.

.. وأنت؟

- باقى أن تجرب هذه العقاقير على الماشية.

- ما قيمة كل ذلك؟

- الناس تكاد تأكل بعضها البعض.

- أنت متشائم.

- إذا لم يحدث هذا الآن فسوف يحدث فى الغد.

- والحل؟

- مزيد من إنتاج الطعام.

- مهما زيد منه فسباق الأرانب انتقلت عدواه إلى البشر.

أعجبه تجاوبها معه فى الحديث، فدفع ببعض الأوراق وطلب منها أن تعيد كتابتها على الآلة الكاتبة. الجزء من رسالته العلمية.. وتركها منشغلة بعملها وخرج بعربته يجوب المنطقة لعله يرى شيئًا جديدًا. يفسر ما سمعه فى الصباح.

(٣)

دار ممدوح فى المنطقة الشاسعة الممتدة تحت أشعة الشمس الدافئة، وأخذ يتأمل الأرض والفضاء بمنظاره المرافق لعربته فما وجد شيئًا غير عادى.

وعاد للعربة عازمًا العودة إلى البيت وحاول إدارة محركها، لكنها أصبحت فجأة كجسد هامد.. فتحها وأخذ يتأمل مكوناتها عله يجد سبب عطلها. كل شىء يبدو عاديًا.. ولا مبرر واضحًا للعطل. حاول.. وحاول ولما باءت محاولاته بالفشل عزم على العودة سيرًا على الأقدام وسار ومن حوله الرمال الصفراء تعكس حرارة الشمس.. الطريق ممتد.. ممتد. وهو مستغرق فى التفكير فيما يجدّ أمامه من ظروف.

ووصل إلى المنزل منهوك القوى فارتمى على أقرب مقعد وطلب كوبًا من الماء. شرب وارتوى بينما تقف الأم مذعورة ولا تدرى ما أصاب ابنها.

أما سوسن فقد خرجت عند سماعها حوار ممدوح مع أمه وبنظرة خاطفة سريعة فهمت أنه رأى شيئًا آخر خارجًا عن المألوف.

اقتربت منه وقد ارتسمت ابتسامة عذبة على شفتيها، لم تخف ما يدور برأسها وسألته:

- أين كنت؟

- كنت فى جولة حول الأرض.

- أية أرض؟

- أرضى.

- وإلى أى مدى تمتد هذه الأرض؟

- إلى مدى البصر.

- كيف؟ أليس هناك قيود على الملكية!!

- الأرض أرض الله.

- وهل أنت وكيل الله على الأرض؟!

- ماذا تقصدين؟

- أقصد أنه يجب أن تحدد مجال ملكيتك ولا تتركها هكذا.

- أنا أملك خمسين فدانًا مستصلحة، وأحاول شراء خمسين أخرى لتصبح مائة. غير مائة أخرى للمزارعين سأملكهم لها فى القريب إن شاء الله.

- عمر الإنسان محدود. لمن تصنع كل هذا؟

- لى.. لك. لأمى لكل من يعمل هنا.

- والمستقبل لمن؟

فهم ممدوح ما ترمى إليه إشارات وتلميحات تغريه بالولد والذرية، فحاول تغيير الموضوع قائلا:

- هل أنجزت الأوراق التى أعطيتها لك؟

- نعم.. نعم.

- سوف أزيد مرتبك خمسة جنيهات عما اتفقنا عليه.

- شكرًا. لكن يجب أن يكون مفهومًا أننى لم أحضر من أجل المرتب. فأنا لم أرض بالعزلة والانقطاع عن العالم من أجل الحصول على لقمة العيش. الأمر الذى كان ميسورًا لى فى أى مكان آخر آهل بالسكان.

- لماذا حضرت إذن؟

- لأننى أريد مساعدتك.

- منذ متى؟

- منذ كنا أطفالا.. ألا تذكر؟!

وحاولت أن تذكره بطفولتهما والجرى واللعب معًا وبقية الأطفال، وكيف كان ينزوى بعيدًا عنهم ويعزف عن اللعب فتحضر إليه وتحاول ضمه للمجموع.

- هذا طبع فى.. أحب العزلة من صغرى.

- أما أنا فلم أكن مثلك. كنت نقيضك. لكن الحياة علمتنى أن العزلة شىء له قيمة.

- كيف؟

- منذ مات زوجى الثانى تغيرت نظرتى لكثير من الأمور.

- كيف مات زوجاك؟

- الأول مات على إثر حادث.

- والثانى؟

- الثانى كان مريضًا قبل زواجى منه وأخفى مرضه عنى، وتزوجنا وهو يعلم أن له شهورًا معدودة.

- أما زلت تفكرين فيه؟

- لا.. أحيانًا قليلة فقط.

أحست سوسن أن الوقت غير مناسب لتطور علاقتها به، فاستأذنت نادمة على ما تفوهت به من كلمات وانصرفت لشئونها. بينما توجه ممدوح إلى مكان الشتلات للأعشاب الطبية يرعاها ويرى مدى ما حققه من تقدم.

أما الأم فقد حاولت أن تجذب سوسن إليها وتبعدها عن ابنها، رغم أن غاية ما تتمناه أن تجد له زوجة حلوة تسعده وينجب منها الولد. لكن الشىء الذى تتأكد منه هو أن سوسن ليست تلك الزوجة. كل ذلك جعل مقدم سوسن إلى البيت فرصة للصراخ والتوتر، الأمر الذى أخذ حسام يتأمله ويحاول فهمه على قدر ما هيات له الظروف من إمكانيات فهو المساعد الثانى لممدوح، وإن كان يشعر بأهميته فى تلك الآونة لسفر المساعد الأول فى مهمة إلى قرى الوجه البحرى والقبلى.

أخذ حسام يتأمل سوسن وهى تتحرك فى أرجاء البيت فى بساطة وتلقائية وكأنها ولدت فيه. انجذب إليها لكنه أحجم عن فتح حوار معها حتى تحين الفرصة. واستغرق العمل كل من فى البيت حتى المساء.

الهدوء والراحة مع وجبة شهية ونسمة رطبة. اجتمع بعدها كل أفراد

الأسرة فى شبه حلقة أمام البيت تتوسطهم منضدة صغيرة عليها أكواب الشاى.

وأفراد الأسرة ليسوا ممدوح وأمه وسوسن فحسب، بل تشمل الأسرة كل من يعمل فى البيت والأرض المحيطة به، ومن يساهم بأى جهد مع المهندس ممدوح حتى لو كان عاملا بسيطًا لا يتقن إلا الأشياء الصغيرة.

وبهذا المفهوم اتسعت دائرة الأسرة لتشمل ثلاثة من المزارعين ممن قدموا من أعماق الريف. والمساعد حسام واثنتين من السيدات زوجات الاثنين من المزارعين، وثلاثة أطفال، وقطة وكلبين.

(٤)

أخذ سعيد ينظر إلى سلام ويشير إليه يحثه على الحديث فقبل جلستهم هذه كانت لهم جلسة أخرى ولم يكونا وحدهما بل اشترك فى الجلسة أحمد. واتفق ثلاثتهم على فتح الحوار مع المهندس ممدوح. سعيد يصر على أن يحيل اتفاقهم مع المهندس ممدوح إلى اتفاق مكتوب، بينما لا يرى سلام ضرورة لذلك. وإن كانت زوجته تحثه على المضى فى الطريق الذى رسمه سعيد.

أما أحمد فيعانى من مشكلة تصرفه عن التفكير فى هذا الأمر، تلك المشكلة التى لم تظهر فى حياته إلا بعد ذلك اليوم اللعين الذى أغراه فيه عقله المغامر بتناول أحد الأعشاب الشيطانية التى تنمو مع الزرع. فمنذ تلك اللحظة وهو يعانى من ازدياد غير عادى فى قدرته الجنسية الأمر الذى يسبب له مشاكل مع زوجته.

قال سلام:

- لنا مطلب يا باشمهندس.

قال ممدوح:

- من تقصد بكلمة لنا هذه؟

- أقصد أنا وسعيد وأحمد وزوجتى وزوجة أحمد، نظر إليهم حسام محاولا فهم الموقف، بينما تململت سوسن. أما الأم فأخذت تداعب قطتها. قال ممدوح:

- وأين زوجتاكما؟

- ستأتيان حالا. انهما تنجزان بعض أعمال البيت.

قالت الأم:

- اتركاهما براحتيهما.

قال أحمد:

- نعم فهما مشغولتان فى الصباح معنا فى أعمال الحقل، والبيت والأولاد لهما مطالب أخرى.

قالت سوسن:

- رأيت طفليك فى الصباح سأحاول أن أساعدهما ليستعدا لدخول المدرسة فى الأعوام القادمة.

قال أحمد:

- مازال الوقت مبكرًا. فالكبير فى الرابعة والطفلة فى الثانية.

قال ممدوح:

- حتى يحين موعد الدراسة سنكون قد أنشأنا فصلا أو فصلين ليتعلم الأطفال.

قال سلام:

- حسنًا تفعل يا باشمهندس. فابنى سيتم السادسة فى العام القادم وأقرب قرية تبعد عنا عشرة كيلو مترات.

قال سعيد:

- الأمر ليس بهذه الصعوبة فإن لم نتمكن من إنشاء فصل يمكن أن تحمل السيارة أولادنا إلى القرية كل يوم وتعود بهم.

قال المهندس ممدوح:

- الذى لا تعلمونه أن مساعدى الأول ذهب لجلب عدد آخر من العاملين، وسوف يزيد عدد الأطفال ومن هم بحاجة إلى التعليم، وفى تلك الحالة يمكن فتح فصل هنا فى هذه المزرعة.

قالت سوسن:

- وهل كل العاملين الجدد أسر قادمة بأبنائها؟

قال ممدوح:

- ليس الأمر واضحًا حتى الآن وإن كان اتفاقى مع المساعد على أن يفضل من لم يكون أسرة بعد.

قالت الأم وهى تراقب القطة تداعب الكلب الصغير. ويبدو عليها أنها لم تسمع ما دار من حوار.

- كل هذا تم بفضل مجهودكم جميعًا وتعاونكم.

حينئذ «زغد» سعيد سلام يحثه على الدخول فى الموضوع. قال سلام:

- قلت إن لنا مطالب.

- نعم.. نعم ما هى؟

قالها ممدوح فى اهتمام.

قال سلام:

- نرجو أن يصبح الاتفاق الذى يجمعنا مكتوبًا فى عقد، وأن يكون لدى كل منا صورة منه. قال ممدوح على الفور:

- فكرة سعيد هذه.

فى تلك اللحظة وصلت زوجة سلام وزوجة أحمد فألقيا بتحية المساء وجلستا بينما التقطت زوجة أحمد طرف الحديث ودخلت فيه مباشرة:

- نعم يا باشمهندس فقد مضى على عملنا معك عامان وتأكد لك كفاءتنا وحسن نوايانا بقى أن نشعر بالأمن فى ذلك المكان المقفر.

قال ممدوح مندهشًا:

- الأمن؟

قالت الزوجة الأخرى:

- نقصد أن نشعر أن هناك عائدًا مناسبًا من وراء مجهودنا غير تلك الجنيهات القليلة التى نحصل عليها.

قالت الأم:

- الأمر ليس تلك الجنيهات القليلة فحسب وإنما نحن ننفق فى أشياء أخرى، فكافة طلباتكم مجانية. الطعام، المسكن، الملبس، كلها لا تدفعون فيها شيئًا.

قالت زوجة أحمد:

- لكننا نريد أن نؤمن المستقبل لأبنائنا.

قال المهندس ممدوح:

- وهذا ما اتفقنا عليه. كل منكم له فى تمام السنة السابعة من العمل ملكية خمسة أفدنة.

قال سعيد:

- نريد أن نجعلها عشرة أو ثمانية، فما تستصلحه الآن يزيد على المائة فدان.

قال ممدوح غاضبًا:

- هل نسيت أن الأرض لا يصلحها العمل وحده وأننى أنفق أموالا كثيرة فى سبيل استصلاحها وأن عددكم سوف يزيد؟!

ماذا يبقى لى لو منحت كلاً منكم عشرة أفدنة؟!

قال أحمد محاولا حسم الخلاف:

- نحن نوافق على خمسة أفدنة. فقط نريد أن تحرر لنا عقودًا بذلك.

نظر ممدوح إلى سعيد محاولا فهم ما يدور فى رأسه.

أطرق سعيد قليلا ثم قال:

- فليكن خمسة، ونبرم عقودًا بها.

قال ممدوح:

- لا تصبح ملكًا لكم إلا بعد سبع سنوات عمل.

قال سلام:

- نرجو أن تقل المدة فتصبح خمس سنوات قضينا منها ثلاث سنوات.

- موافق.

- لى مطلب آخر.

- ما هو؟

- أن يزيد الأجر الشهرى، فطلبات الأولاد تضطرنى إلى الإنفاق

أحيانًا.

قال ممدوح:

- ألا يكفيكم عشرون جنيهًا لكل منكم، وطعامه وسكنه وكسوته خارج المرتب.

قال سعيد:

- اجعلها ثلاثين ولا تتحمل بكسوتنا.

قال ممدوح:

- لا أستطيع الآن. قد يحدث هذا فى العام القادم حينما يزيد العائد من الأرض.

قال سعيد:

- إذن فلنجعلها خمسة وعشرين جنيهًا.

قالت الأم غضبى:

- ما هذا يا رجال؟ ألا تتحملون قليلا حتى تثمر جهودكم فى الأرض وتغل دخلا يغطى نفقاتنا؟!

وأثار حماسها سوسن التى قالت على الفور:

- المفروض أن العمل هنا واجب قومى قبل أن يكون خدمة للمهندس ممدوح.

قالت زوجة أحمد:

- يمكننا أن نتحمل هذا العام على أن نناقش الأمر فى العام القادم.

قال سعيد:

- أما العقود فنرجو إبرامها هذه الأيام.

قال ممدوح:

- وأنا لا أمانع فى هذا الأمر.

حينئذ ابتهج الجميع بينما نهضت الأم قائلة:

- فلأعد لكم الشاى.

ولحقت بها زوجة أحمد لتساعدها فى ذلك. أما سوسن فقد أخذت

تفكر فيما حدث فى تلك الجلسة، وتتأمل حسام الذى لم يتكلم، وتتساءل ترى كم فدانًا اتفق عليها مع المهندس ممدوح؟

وعادت الأم بعد قليل تتقدمها زوجة أحمد حاملة صينية الشاى التى هلل لها الجميع، وأخذوا يحتسونه فى سعادة فقد اتفق كبيرهم أن يمنحهم عقود التمليك بعد يومين. والتفت ممدوح إلى حسام قائلا:

- فى الصباح اذهب ناحية الغرب حيث تقف عربتى معطلة على بعد ثلاثة كيلو مترات وحاول إصلاحها والعودة بها.

التفتت سوسن متسائلة.

- وهل يعرف فى إصلاح السيارات؟

قال ممدوح:

- نعم. نحن نحاول تكوين مجموعة يمكن أن نكتفى بها فى المستقبل عن جيراننا.

التفتت إليه سوسن، وقالت فى دلال:

- اذهب مبكرًا حتى لا تضطر إلى العمل تحت حرارة الشمس الحارقة.

ابتسم حسام وشكرها على اهتمامها، بينما انصرف ممدوح لقراءة بعض الصحف الخاصة بالأيام السابقة، فالصحف لا تصل للمزرعة يومًا بيوم.

(٥)

مر أسبوع على هذا الاجتماع، ولم يمنح ممدوح عماله العقود المتفق عليها. بدا الضيق والتبرم واضحًا على وجه سعيد فى لهجة سلام. أما أحمد فهو غارق فى مشكلته الخاصة لأذنيه.

أحس ممدوح بذلك، فجلس جلسة طويلة مع حسام وسوسن أعدوا فيها عقودًا بالكيفية التى اتفقوا عليها شفاهة، ودعا المزارعين للتوقيع على الصور، فوقع كل من سعيد وأحمد. أما سلام فقد أخرج من سترته الخاتم الذى يغنى عن التوقيع.

وعمت الفرحة الجميع، وانطلقت زغرودة من بيت سلام، بينما تطوعت زوجة أحمد لدعوة الجميع إلى تناول حلوى الأرز باللبن. وقد نتساءل من أين لهم باللبن فى تلك الصحراء الموحشة وهل هناك مواش بالمزرعة؟ وإن كانت هناك مواش فماذا تأكل ومن أين؟!

الحقيقة أن المزرعة حتى الآن خالية من المواشى فليس بها سوى عدد من الخراف التى جلبوها من المحاريق والتى ترعى على أعشاب الصحراء. أما المواشى فمؤجلة للعام القادم. أما اللبن فقد تزودوا من الجاف منه استجلابًا من أسيوط.

أما وقت قراءتك لهذه السطور فلست أدرى أيكون لديهم مواش أم لا، ولكى تعرف يجب أن تزورهم بنفسك. المهم قد تم استصلاح الأرض وزراعة أول محصول فيها وقد استغرق دق بئرين بالأرض زمنًا ثم تسوية الأرض وتنقيتها من الحجارة والأعشاب والصَّبار تلك التى تناول منها أحمد وأحس بضررها ذلك الضرر الذى يمكن أن يكون فائدة لغيره. الأمر الذى شغل ممدوح بعض الوقت، فأعطى بعض هذه الأعشاب لمساعده الأول ودوَّن له عنوان باحث بالقاهرة، ليعطيه العشب ومعه

رسالة عما يراه فيها.

كذلك استغرق بناء منزلين للعمال والمهندسين وقتًا، وإن كان البناءون قد أسرعوا فيه فالفضل فى ذلك لمعاونة أصحاب الأرض والمزارعين وحثهم على الانتهاء منه.

والآن مضت ثلاث سنوات ويفكر ممدوح فى زراعة الأرض بالبرسيم ثم تقلبه بالأرض كسماد عضوى يساعد على أن تتحول من اللون الأصفر إلى لون آخر قابل لأن يكتسى بالخضرة.

وينتظر حضور مساعده والمزارعين الجدد وقد اقترب موعد وصولهم وتم توسعة المساحة المعينة للزراع، وهى غرف متقابلة لها منافع مشتركة ومضيفة كبيرة للجميع. ولما كان لا يصل إليه ضيوف فهو مكان يجتمع فيه المزارعون للمساعدة والمناقشة وتمضية الوقت حين لا يكون هناك عمل.

أما الطعام فيتناولونه أحيانًا فى بيت ممدوح وأحيانًا فى تلك المضيفة، والمبنيان قريبان يسهل نقل الطعام بينهما.

وعلى بعد قريب خلف المبنيين بدأت شجرات النخيل ترتفع عن الأرض وقد تخير لها المهندس ممدوح ذلك الموقع حتى يحمى المساكن من الريح المترية القادمة من الغرب. وبين البيتين طلمبة تمد كلا البيتين بالماء وقد تخصصت زوجة أحمد فى نقل الماء إلى بيت المهندس ممدوح المزود بخزان كبير موصل للمواسير والصنابير.

وقفت زوجة أحمد بعد أن فرغت من نقل عدة صفائح مياه تلهث وتمسح العرق من فوق جبينها. تألم لحالها وعزم فى الحال أن يدق طلمبة أخرى يزودها بجهاز لرفع المياه إلى الخزان حتى يوفر هذا العمل الشاق على زوجة أحمد لتفرغ لأعمال أخرى. تنبهت فجأة لمراقبته إياها فابتسمت. قال لها:

- ما أخبار أحمد معك؟

- خير الحمد لله.

- أقصد فى المساء.

احمر وجهها، وتنبهت فجأة أن زوجها تكلم معه فى هذا الشأن.

- يريد أن نأتى بطفل ثالث.

- أرجو أن تؤجلا هذا الأمر.

- أنا أقول ذلك أيضًا.

- لكن هذا لا يمنع أن تكون علاقتكما على ما يرام. ويمكن تناول شىء من حبوب منع الحمل المعروفة.

- أنا أتناولها لكنها تتعبنى.

وصمتت ففهم المهندس ممدوح ماذا تقصد فقال لها:

- ولماذا لم تصارحينى بذلك حتى أساعدك.

- كيف؟

- فى الصباح اذهبى مع حسام إلى المستشفى واعرضى نفسك على الطبيب واستمعى إلى نصيحته.

- شكرًا.

ثم هم بالانصراف قائلا:

- سأنبه على مساعدى بذلك الليلة حتى يعد العربة، ويسأل عما نحتاج إليه من الغرفة ليجلبه أيضًا.

- شكرًا.. شكرًا.. أرجو..

ووقفت الكلمات على شفتيها، فتوقف والتفت إليها متسائلا:

- تريدين شيئًا.

- لا.. وإنما ربنا يرزقك ببنت الحلال.

- كل شىء بأوان يا هانم.

وانصرف كل منهما إلى شأنه. بينما التقطت سوسن طرفًا من الحديث فطربت له.

ومر الوقت بطيئًا حتى توغل الليل وبدأت نسماته الباردة تغزو الأجساد المنهكة المكدودة.

وأغلقت جميع النوافذ واستسلموا للنوم تحت الاغطية. أما سوسن فقد أطلت برأسها من تحت الغطاء تصغى للمذياع القائم بجوار الفراش وعقلها شارد فى حديث ممدوح مع هانم تفكر تارة فى المشكلة التى تعانى منها هانم وزوجها أحمد، وتارة يتردد فى أذنيها كلمات هانم «ربنا يرزقك ببنت الحلال». أما المهندس ممدوح فقد استلقى تحت الأغطية مسترخيًا وهو يقرأ كتابًا عن الصحراء الغربية ومستقبلها.

وكلما سافرت الشمس إلى بعيد. كلما زادت الظلمة فى الخلاء المحيط بتلك القرية أو النواة الصغيرة. وعلا صفير الرياح فى الخارج..

أما بقية المزارعين فقد استسلموا للنوم فى مكانه المعتاد.

فى تلك اللحظات برق ضوء خاطف على بعد قريب أضاءت له السماء وأحس به كل من سوسن وممدوح. وهمَّ كلاهما بالخروج للوقوف على جليَّة الأمر لكنهما ترددا، وعاد كل منهما لمتابعة ما يهتم به حتى انتهى إرسال الإذاعة فوضعت فى جهاز التسجيل أغنية محببة لها طالما سمعتها مع زوجها الراحل فى لحظات الصفاء.

وأخذت تترنم بكلماتها.

ومر بعقلها شريط مهزوز من الذكريات عن زواجها الأول وزواجها الثانى، وأخذت تفكر فى حالها لو أنها رزقت من أحدهما بطفل لآنس وحدتها الآن. لكنه الحظ العاثر الذى يقف فى طريقها دائمًا.

أما ممدوح فقد تحرك فضوله عندما برق البرق مرة أخرى ففتح النافذة فإذا به يرى على مسافة بعيدة نفس المركبة التى رآها من قبل. مركبة تضىء جوانبها. لكن الظلام يلف كل شىء حولها.

ظل واقفًا بجوار النافذة علَّه يرى شيئًا جديدًا، فإذا بفتاة تهبط من المركبة مرتدية لباسًا مضيئًا، وما أن ابتعدت عن المركبة حتى اختفى الضوء المحيط بجسدها ولفها الظلام. لم يدر إلى أين اتجهت، ولم يدر من أى جهة هى مقبلة.

لم يستطيع ممدوح العودة إلى الفراش من جديد وإنما ارتدى ملابسه

على عجل، وحمل مسدسه وخرج إلى الخلاء بحثًا عن المجهول.

ظل يتجول حول المبانى القائمة بالمزرعة وينتش بين الأشجار التى ترتفع قليلا عن الأرض فلم يجد شيئًا.. حينئذ انتابته شجاعة مفاجئة، فليتوجه إلى تلك المركبة القائمة قريبًا.

وتحرك ناحيتها.. وما أن اقترب منها حتى صدر منها ضوء أخضر ظهرت على أثره تلك الفتاة التى رآها من النافذة وأسرعت الخطى التى بدت كالقفزات الواسعة حتى اقتربت من المركبة فقفزت قفزة عالية استقرت على أثرها داخل المركبة.

واحتار ممدوح. ماذا يفعل وماذا يقول؟ لكنه حمد الله أنه لم يصب بمكروه، وهمَّ بالعودة إلى المنزل. لكن شيئًا جذبه للخلف من جديد. وجد نفسه يعود للوراء وشىء ما يخيفه، ويقف حائلا بينه وبين الالتفات ناحية المركبة. وبدأ صوت يخاطبه بلغة لا يفهمها.. أجاد ممدوح الانصات.. لكنه لم يتمكن من فهم شىء، فأعاد عليه القول.. صرخ المهندس:

- لا أفهم.. لا أفهم.

حينئذ تغير الصوت بصوت آخر حدثه بلغته، قال له:

- لماذا نرى مساحات مكتظة بالبشر ومساحات أخرى مقفرة؟!

- البشر حيث توجد الأرض المثمرة والماء والدفء.

- ألا يعيش البشر إلا فى هذه الظروف؟

- لا بل هى ظروف تعين على الحياة المستريحة.

وارتفعت ضحكة غريبة من داخل المركبة وقال صوت آخر متهكمًا:

- المستريحة؟!

- ولكنى لست منهم فقد ابتعدت كل هذه المسافة عن مصادر الحياة وأشقى لأخلق الحياة فى هذا المكان الموحش.

قال صوت ناعم:

- أنت رجل شجاع ومن أجل ذلك جئنا لزيارتك ولن نمسك بمكروه.

- من أنتم؟

- نحن من كوكب بعيد لا تعرف اسمه.

- أرجو أن أعرفه.

- فيما بعد.

أريد أن أراكم.. أرجوكم.

وحدثت جلبة داخل المركبة، وحوار ونقاش بلغة أخرى بعدها قال أحدهم:

- وافق المجلس.

- أشكركم.

وفجأة وجد المهندس ممدوح أمامه فتاة جميلة يكاد وجهها يضيء. انتابه شيء من الذعر وقال على الفور:

- كيف وأنت.. لم.. أقصد.

- لم ترني وأنا أخطو خطواتي بين المركبة وبينك!!

- نعم.. نعم هو ذاك.

- هذه إحدى قدراتنا.. يمكن أن نتبعثر في الهواء فلا يرانا أحد ثم نتجمع في المكان الذي يحلو لنا.

ومد ممدوح يده محاولا مصافحتها، فارتدت للخلف مذعورة وقالت:

- لا.. لا.

- لماذا؟

- تلامس يدك مع يدي يعد زواجًا له طقوس، وطقوسنا تمنع هذا.

- لماذا؟

- لأنك من جنس غير جنسي.

- كيف؟!

- نحن مخلوقات لا تأكل، لا تتوالد.

- ولكنكم تتزوجون كما قلت حالا؟

- نعم.

- وكيف تعيشون من غير أكل؟

- بالطاقة.

- أى طاقة.

- الكهرباء.

اندهش ممدوح ووقف فاغرا فاه ولم ينطق بشىء. وتذكر فجأة أنه رغب فى ملامسة يدها وأن ذلك ربما تسبب فى موته صعقًا بالكهرباء. وحمد الله على امتناعها عن هذا الأمر، لكنه لم يرد أن يضيع تلك الفرصة. وجد فى ذهنه الكثير من الأسئلة التى بدأها بقوله:

- ومن أين لكم بالكهرباء؟

حينئذ ضحكت المخلوقة الحسناء ضحكة مدوية، بينما صدرت لها الأوامر بالعودة إلى المركبة، فانتشرت وتلاشت لتتجمع فى المركبة. بينما وقف ممدوح يكرر السؤال وهو مذهول:

- من أين لكم بالكهربا؟! من أين لكم بالكهرباء؟

ودارت المركبة وتحركت، بينما صدرت ضحكة من داخلها أعقبها قول أحدهم:

- الكون ملىء بها أيها الغبى.

وفى لحظات اختفت المركبة واختفى الضوء وعاد إلى مكان ظلمته ووحشته. وتحرك ممدوح بقدمين ثقيلتين إلى منزله، حيث الدفء والأمان والأحلام والتفكير فى كل ما رأى وسمع هذه الليلة.

(٦)

مع الصباح بدأت حركة تدب فى أرجاء المكان وأركان البيت. حركة نشطة ودودة متفائلة. أما ممدوح فقد استسلم لنوم عز عليه طوال الليل. استسلم للنوم بعد عناء عقل وشقاء نفس، فقد كانت المغامرة ممتعة فى البداية، لكنه أحس أنه قصَّر فى حق نفسه ووطنه وحق العلم، فكان أجدر به أن يلتقط الصور لما شاهد. لكن ماكينة التصوير لم تكن معدة، ولو أنها معدة لما تذكرها فى تلك اللحظة.. وزاد من غيظه وإحساسه بالألم تلك الجملة التى أنهت بها المخلوقات الغريبة حوارها معه.

- الكون ملىء بها أيها الغبى.

وظلت كلماتهم تدوى فى رأسه لا يجد فكاكًا منها، فاستعان بقرص من الأقراص المنومة، ولم يبدأ مفعولها إلا مع بداية الصباح.

وبينما رأسه ينتقل على الوسادة إذا بصراخ أبناء أحمد يهز أعصابه فتيقن أن أمهم تستعد للذهاب إلى طبيب القرية القريبة كما اتفقا فى اليوم السابق.

استسلم أول الأمر لجلبتهم، لكنها زادت وزاد صراخهم، فخرج يزجرهم ويمنعم من إقلاقه.

ورأته سوسن على غير عادته ينام فى موعد استيقاظه ويثور فى وقت تعودوا أن يروه مستبشرًا فخرجت إلى الأطفال وصحبتهم إلى منزلهم محاولة بذلك إرضاء ممدوح الذى أغلق الباب عليه وعاد إلى فراشه يحاول النوم من جديد.

رأت سوسن زوجة أحمد وهى تغادر المكان بصحبة حسام وهى تعتدل فى جلستها بجواره فى العربة الجيب، وقبل أن تتحرك العربة إذا بأم المهندس تصيح فى مساعده وتنادى عليه، ويهبط ليرى ما وراءها فإذا

بها تدفع له بورقة صغيرة قد دونت فيها شيئًا من الطلبات التى لم تتذكرها بالأمس. أما أحمد فقد اطمأن لوجود سوسن مع أبنائه وغادر المكان وقد علت ثغره ابتسامة رضا فى طريقه لعمله بالمزرعة. وقبل أن يغادرهم قال كلمات قليلة عن الجو والزرع ومرض زوجته.. لم تستمع إليها سوسن فقد كان عقلها مشغولا بممدوح الذى ينام وقت أن استيقظ الناس على غير عادته. لكن أحمد فهم من إجاباتها السريعة المضطربة أنها ستوالى أبناءه طوال غياب الأم. وانصرف إلى بيت المهندس.

أطلت الأم من نافذة مطبخها على صوت جلبة الأطفال. رأت سوسن تجرى وتمرح مع الأبناء بمسكنهم القريب وترتفع ضحكاتهم بدلا من الصراخ. ابتسمت وانصرفت لمتابعة عملها.. أحس الأطفال بالجوع فتركتهم بعد أن أوصت زوجة سلام بهم وذهبت إلى المنزل الكبير حيث تعد لهم شيئًا يأكلونه. فاجأتها الأم أن الخبز قد انتهى تمامًا من البيت، وطلبت منها أن تنادى زوجة سلام لتخبز لهم شيئًا منه. فالدقيق موجود بعد أن تم إصلاح الطاحونة، والماء وفيرة والفرن ينتظر اللهب فى شوق.. والبطون التى امتلأت منذ قليل سرعان ما تفرغ وتطالب بالطعام..

تناولت سوسن بعض الكعك فوضعته فى إناء وتوجهت إلى بيت المزارعين فنبهت على زوجة سلام بمطلب أم المهندس وأبدت استعدادها للبقاء مع ابنها مع أبناء أحمد وانضم الأطفال والتفوا فى حلقة حول إناء الكعك يأكلونه فى نهم. بعد ذلك الجرى والضحك الذى فتح شهيتهم للطعام.

شبعوا وبدأ الكسل يدب فى عضلاتهم، فإذا بسوسن تناول كلاً منهم ورقة وقلمًا تخط لهم كلمات بسيطة وتعلمهم كيف يحاكونها. وأعجبتهم تلك الوسيلة لشغل الفراغ أول الأمر لكنهم سرعان ما ملوا الكتابة وأخذوا يتثاءبون.. وأرتفعت الشمس فى السماء وزادت حرارة الجو، لجأ الأطفال إلى فراشهم فتمددوا فيه وراحوا يغطون فى نوم عميق.

أخذت سوسن تتأملهم وهم نائمون وترى فيهم وسامة وبراءة وتتذكر أباهم فى غدوه ورواحه، وكيف هيأت له الطبيعة جسدًا موفورًا وفحولة

قلما تتوافر لأهل المدينة.

وبينما هى فى ذلك التأمل إذا بأحمد يدخل إلى الحجرة وبريق عينيه يزداد لمعانه.

وهمَّ بمبادرتها الحديث فإذا بها تضع يدها على فمه وتهمس:

- لا توقظ الأولاد.

إرتبك أول الأمر لكنه سرعان ما أمسك بيدها ودعاها إلى مغادرة الحجرة، وما أن اطمأنت لبعدها عن مخدع الأطفال حتى قالت:

- ماذا أتى بك مبكرًا؟!

- يبدو أن البيت خال.

- نعم.. سعيد وسلامة لم يعودا بعد، وزوجة سلامة تعد لنا الخبز فى البيت الكبير.

- وزوجتى لم تعد بعد!

- هى على وشك الحضور.

- لا بل سوف تتأخر.

قالها بلهجة ملأت قلبها خوفًا.. قالت متلعثمة:

- ما دمت قد حضرت فدعنى أنصرف.

- لكن لى حديث معك.

- فى وقت آخر.

- لا يحتمل التأخير.

قالها وسبقها إلى المضيفة الكبيرة التى يجتمع فيها المزارعون حينما يرغبون فى السهر والسمر بعيدًا عن مكان النوم المخصص لهم.

وجلس أحمد، بينما وقفت سوسن وقد أحست بما يخبئه لها.

- اجلسى.

- فلتقل ماذا تريد منى.

- اجلسى أولا.

وجلست وعيناها على النافذة المغلقة، وفكرت بسرعة ثم قالت:

- الجو حار - سوف أفتح النافذة.

وهمت بفتحها، لكن أحمد لحق بها وضمها وانهال عليها تقبيلا.. حاولت الإفلات منه فما زاده صدها إلا رغبة وما زاده تمنعها إلا إثارة.. وهم بطرحها أرضًا، وهى تجرى منه وتحاول كبت صرخة حتى لا يستيقظ الأطفال فتصير فضيحة.. وراوغت بخفة حركة واستطاعت أن تفتح النافذة المظلة على البيت الكبير، وصرخت صرخة مكتومة فقد كانت يده على فمها..

وكان حظها معها فقد استيقظ المهندس ممدوح منذ قليل ووقف فى النافذة يتأمل ويتذكر زوار الليل وطيقهم الطائر، فشاهد ما حدث فى المضيفة أو جانبًا منه وخمن بقية الصورة.. خرج على الفور وتوجه حيث سمع الصوت ورأى حركة المقاومة.

وضع لم ترغب فيه سوسن بعقلها وإن كان جسدها وشيك التسليم. وأمسكها ممدوح من يدها، بينما نظر إلى أحمد نظرة استنكار ثم قال له:

- لى معك حساب فيما بعد.

وعادت سوسن إلى البيت الكبير ودخلت حجرتها تتخلص من آثار الارهاق والمقاومة. ودخل ممدوح فاستلقى فى الفراش وهو حائر.. ماذا يفعل؟ وظل يفكر حتى استعادت سوسن هدوءها ودخلت إليه بعد أن بدلت ثيابها.

- فيم تفكر؟

- وهل هذا سؤال؟

- أقصد ما نويت عليه؟

- يبدو أننى أخطأت بإحضارك إلى هنا.

- ما حدث كان يمكن أن يحدث مع أى امرأة أخرى.

- تريدين طرد أحمد؟

- قلبى لا يطاوعنى فى طلب ذلك.

- قلبك أم عقلك؟

- عقلى وقلبى.

- إذن غفرت له؟

- نعم، ويمكن أن تنساه تمامًا.

- وماذا يعود عليك من ذلك؟

- أعلم أن إفشاء ما حدث سيسبب ارتباكًا للعاملين بالمزرعة وسيهدم أسرة، هى أسرة أحمد وزوجته التى تعالج الآن.

- وماذا أيضًا؟

- وقد يؤثر هذا على مستقبلى.

وقبل أن ينتهى الحوار سمعا صوت العربة بالخارج وعلما بعودة حسام وزوجة أحمد من زيارتهما. فأتت سوسن بحركة من يريد كتمان السر، وتركته وانصرفت إلى المطبخ كى تعد طعام الغداء فقد حان موعده.

أما ممدوح فقد خرج لاستقبال حسام ليجد معه رجلا بدويًا.

قال حسام:

- الأخ حضر لشراء كمية من الخضراوات التى نضجت.

تنهد ممدوح مستريحًا فقد كان يفكر في هذا الأمر ونسى أن ينبه حسام به لكنه تصرف من وحى إحساسه بقيمة عمله وموقعه من المسئولية. وأصطحب ممدوح ذلك التاجر إلى حيث الزرع وسمح له بمعاينة أنواعه. وما أن اطمأن إلى فرحته بالشراء حتى صحبه إلى البيت.. وفى حجرة مكتبه تمت الصفقة.

ولم تمض غير ساعة حتى كان التاجر فى طريقه إلى قريته بصحبة حسام ليعود ومعه العربة الكبيرة لتحميل المحصول.

أما ممدوح فقد وقف على رأس المزارعين وهم يجمعون الخضراوات ويرصونها فى أجولة فى انتظار عودة التاجر بعد أن أجرى مع ممدوح الصفقة، وترك المال كضمان لعودته.

اقترب حسام مبتسمًا وقال: حمدًا لله.. باتفاقك هذا لن نتعرض للخسارة التى تعرضنا لها فى العام الماضى.

قال ممدوح:

- أرجو أن يجد المساعد الأول عند عودته من يشترى محصول البطاطس والبصل.

- على أى حال هى محصولات لا تفسد سريعًا.

- لذلك لم أنصح ببيعها بأقل من ثمنها.

انتهى المزارعون من تجهيز المحصول للنقل وانصرفوا لتناول الطعام بينما ظل المهندس ممدوح ومعه حسام بجانب مجموعات الخضر فى انتظار التاجر الذى تأخر مما بعث القلق فى نفسيهما. حاول ممدوح التغلب على شعوره هذا قائلا:

- سيأتى حتمًا.. وإلا ما ترك نصف قيمة الصفقة.

قال حسام: عد أنت إلى البيت وسأنتظر هنا.

- ولماذا الانتظار؟ إذهب فتناول غداءك أيضًا.

- أخاف أن يسرق المحصول.

- لا تخف.. الأمان متوفر هنا.

وعادا معًا وهما يثرثران فيما سمعاه من الشيخ سعفان عن قلة القضايا التى تعرض على القضاء.

قال حسام: هذا ليس دليلا على مثالية أهل المنطقة، وإنما دليل على قوة مشايخ القبائل والعمد.. فهم يقومون بدور المحاكم.

أوما ممدوح موافقًا على ما سمعه وعقله شارد فى تلك الصفقة التى قد تكون بداية الصفقات.

ومر اليوم بشكله المعتاد ومواعيده المنظمة الرتيبة وجلسا تحت أشعة الغروب أمام البيت يثرثران كعادتهما من جديد.. وإذا بالتاجر قد وصل ليتم الصفقة..

حينئذ خرجا معه ينفضان عن نفسيهما آثار القلق التى لم تزول حقيقة إلا بعد أن عادا وبقية المال معهما، والبضاعة قد حملها التاجر وسار فى طريقه.

(٧)

مر يومان اعتكف فيهما المهندس ممدوح يباشر العمل خلالهما عن طريق حسام. اذ لم يكن العمل فى حاجة إلى خروجه. وظل موزَّعًا بين ذكراه مع تلك المخلوقات التى غزت المزرعة تحت ستار الليل والصمت. وبين ذلك الحدث بين أحمد ومساعدته سوسن يترقب من وقت لآخر وصول المساعد الأول من ريف مصر حتى يبدأ العمل فى المرحلة الثانية بعد أن استصلح جزءًا من الأرض.

فالأيدى العاملة والخبرة والمال يستصلحون المزيد حتى يكون لكل منهم أرض بعد مرور فترة من الزمن.

أما سوسن فقد تحاشت الذهاب إلى ذلك المبنى الذى شهد الموقف العصيب. وقد عادت زوجة أحمد ببعض العقاقير التى ساعدتها على العودة مع زوجها سيرتها الأولى.

وأما سعيد فقد استأذن فى الذهاب إلى بعض أقاربه بالبدارى ليتزوج ويعود بزوجته. فأميله لحين وصول مساعده والعمال الجدد.

وفى صباح اليوم الثالث استيقظ الجميع على صوت جلبة وحركة. كانت عربة المساعد الأول، وقد هبط منها عدد من العمال يحملون أمتعتهم يتحسسونها تارة، ويتأملون الطريق والمزرعة بأعينهم تارة أخرى والدهشة ترتسم على كل الوجوه. فهذه هى المرة الأولى التى يغادرون الوادى الأخضر الضيق ونهر النيل إلى تلك الصحراء الشاسعة حيث الماء صعب والخضرة لا تأتى إلا بالجهد والتعب.

- أهلاً بكم يا رجال.

قالها المهندس ممدوح، ففرح الجميع بحسن استقباله ووقفوا حوله. وفى دقائق كانت المقاعد تعد فى مواجهة المصطبة المبنية ملاصقة

بالبيت، وكانت سوسن تعد الشاى للقادمين.

قال المساعد للمهندس:

- الأول والثانى سليمان ومحجوب من قرى بنها، أما الثالث فهو حسن من قرى المنيا وخضرة زوجته تزوجها منذ أيام وقد استضافنا جميعًا فى بيت أسرته فى طريق العودة.

قال ممدوح:

- وهل شرحت لهم أوجه العمل؟

- نعم.. نعم وقد كانوا يعملون أجراء فى أرض الغير. أما الآن وبكثير من العمل وقليل من الصبر ستصيرون ملاكًا.

قال سلامة الذى لحق بالجلسة مؤخرًا:

- الباشمهندس حرر لنا عقودًا فيها كافة شروط العمل. نظر المهندس ممدوح إلى أحمد نظرة ذات معنى ثم قال:

- سوف أعطيكم العقود بعد أن يبدأ العمل ويستقر رأيكم على الاستمرار. لكن هناك شيئًا مهمًا يجب أن تلتفتوا إليه.

قال حسن:

- ما هو يا سيادة المهندس؟

يجب أن تعلموا أننا نواة لقرية يجب أن نكون إخوة متحابين، وأن يحافظ كل منا على الآخر ويؤثره على نفسه فالأرض قبل أن تخضر بالماء والعمل، تخضر بالحب.

أما الكراهية والفتنة فلا يقابلها إلا الفساد والجحيم والموت، وأعتقد أنكم لم تتجشموا مشقة السفر ومفارقة الأحباب إلا من أجل مستقبل مشرق وحب كبير..

قال محجوب:

- نعم.. نعم فلى خطيبة فى قريتى تنتظر أن أعود إليها بعد سنة فأتزوجها وآتى بها.

- عظيم يا محجوب. وأنت يا سليمان هل تركت خطيبة أيضًا؟

احمرت وجنتا سليمان وارتبك قبل أن يقول:

- لا .. لا ليس هناك من ينتظرنى فى القرية غير والدى وإخوتى وسوف أرسل لهم من وقت لآخر بعض المال، حتى يصير لى أرض فأرسل إليهم لينتقلوا إلى هنا.

ووصلت سوسن حاملة صينية الشاى ووراءها أم المهندس حاملة طبقًا من الحلوى فتناول كل منهم كوبا وقطعة منها وسرت بينهم همهمة استحسان. قال سعيد ويستحسن طعم الشاى فى فمه:

- أرجو أن تسمح لى يا باشمهندس أن أسافر إلى البدارى حتى آتى بزوجتى.

- لا مانع يا سعيد بعد أن يعلم كل منهم عمله.

وما أن انتهى الجميع من احتساء الشاى وأكل الحلوى حتى تقدمهم المهندس ممدوح إلى بيت المزارعين فعرف كل منهم مكانه. وبقى الثلاثة العزاب، فأشار إليهم بوضع أمتعتهم فى المضيفة لحين إخلاء بعض الغرف التى تحتوى على بعض الأشياء المخزونة.

وما أن وضع الجميع أمتعتهم حتى خرج سليمان متذمرًا:

- ما هذا؟ أننام على الأرض؟

قال له محجوب:

- اهدأ وسوف نفعل ما تريد فيما بعد.

ونظر سليمان للحجرات الأخرى والمعدة بأثاث بسيط وقال:

- يجب أن نتساوى جميعًا.

استمع حسام لحديثه فقال:

- سوف أنقل رأيك للمهندس، وسنعمل على إعداد المكان بشكل يريحكم.

وبعد قليل من الراحة انتقل الجميع إلى الأرض الجديدة فأدهشهم أن جانبا منها يلمع تحت ضوء الشمس فتبدو كالذهب، بينما أجزاء أخرى اختلطت بأشياء أخرى فبدت صفرتها باهتة.

قال أحدهم:

- ما أجمل هذه الأرض الذهبية.

قال المهندس ممدوح:

- هى الآن ذهبية فى عينيك فإذا أفلحت فى زخرفة الذهب باللون الأخضر تحول الذهب إلى جيبك.

ابتسم الجميع لفهمهم ما يقصده الباشمهندس، فالجزء الذى خفت بريقه أصبح أكثر قدرة على العطاء بعد أن جرت عليه بعض الأصلاحات.

قال ممدوح:

- والآن يمكننا أن نزرع البرسيم فى تلك الرقعة الذهبية فإذا ما تخلل الذهب العيدان الخضراء الهزيلة قلبناها فى التربة واستعنا بذلك بها على تحويل الرمال إلى أرض قادرة على أحتضان البذرة والماء.

أما تلك الأرض الأخرى الباهتة فسوف نزرعها بطيخًا وفولاً سودانيًا وفى الشتاء شعيرًا وبرسيمًا.

قال أحدهم:

- أرى المساحة المزروعة نخلا قليلة.

تأمل ممدوح تلك الكلمات وأطرق قليلاً ولم يعلق.

قال حسام:

- معنى هذا أن العمل ينقسم ابتداء من الغد بين العمال.. البعض يستصلح، والبعض يزرع الجزء الذى تم أستصلاحه.

- نعم.. نعم.

قال محجوب:

- أرجو أن أكون ممن يستصلحون تلك الأرض الذهبية حتى أقول لأولادى فيما بعد إن يدى عملت بها منذ البداية.

قال المهندس ممدوح:

- فليكن ما تريد.. هل لأحد غيرك رغبة محددة؟

نظر الجميع إليه بينما صمتت شفاههم وتكلمت عيونهم وكأنها تقول.. أى عمل.. أى عمل، وانتقل الجميع بعد ذلك إلى منطقة الآبار حيث تأملوا وجوههم فيها.. وأشار ممدوح إلى الأرض المحيطة بالآبار ثم قال:

- من الغد احفروا مساقى للأرض وانقلوا روافع الماء إلى مكانها وسوف نستعمل أكثر من طريقة للرى.

قال سليمان:

- أنستعمل طريقة الرى بالرش؟

- نعم.

أما أحمد فقد ظل صامتًا طوال الحوار يتحاشى أن تتقابل عيناه بعينى المهندس، وأحس ممدوح بذلك فبدأه بالحديث وقال هامسا:

- جميل أنك أحسست بخطئك.. أرجو ألا يتكرر مع أى شخص.

أومأ أحمد شاكرا له حفاظه على سره ثم قال:

- أرجو أن نبدأ العمل من اليوم فلا يزال النهار فى بدايته.

قال المهندس:

- هل يريد أحد أن يبدأ العمل من الآن؟

صاح الجميع:

- نعم.. نعم.. فلنبدأ الآن.

قال المهندس ضاحكًا:

- لو أستمر حماسكم على هذا النحو لحققنا ما نريد فى أقل من الوقت المحسوب.. والآن إلى العمل..

وعلى جانب الطريق كانت الفئوس ملقاة بإهمال، فتناول كل منهم واحدًا وشرع يضرب الأرض ويستخلص منها الحجارة ويسويها وهو يترنم بنغمات حفظها من أجداده ووضع لها كلمات جديدة.

- هيلا.. هيلا يا صحراء احنا جينا لك ياصحراء والميه كثير.

وعاد المساعد حسام إلى البيت ليعد الحجرات المغلقة ويشرف على إعداد "ـ ام للرجال والأسر بعد أن يجهدهم العمل ويطلبون الراحة والطعام.

(٨)

فى هدأة الليل.. انفرد ممدوح بكتاب يقرؤه قراءة مشتتة، فهو يقرأ فى الزراعة حين يفكر فى الحب ويقرأ فى الطب حين يفكر فى المجتمع، ويقرأ فى الفلسفة حينما يجد نفسه تائهًا بين اهتمامات الحياة وكأنه يختفى وراء الكتاب الذى يحمله ويحتضنه ويخبئ خلفه حياته الخاصة وتفكيره.

واليوم تلح عليه صورة سوسن.. ومحاولة أحمد معها ويتساءل بينه وبين نفسه.. ترى لو كان هو بدلاً من أحمد.. كيف يكون حالها؟

ويلقى كتاب الزراعة جانبًا، ويخرج إلى بهو المنزل ليحاول أن يلقى نظرة على المكان وعلى حجرة سوسن.. وأسعده أن وجد باب حجرتها مواربًا.. هَمَّ بالدخول إليها لكنه توقف عند سماع صوت أمه تتحدث إليها:

- إنه معجب بك يا ابنتى.

- المساعد الأول؟

- وما وجه الغرابة فى ذلك؟

- الغريب فى الأمر أنه لم يقابلنى منفردة ولا مرة، ولم يحاول فهم مشاعرى قبل أن يكلمك فى هذا الشأن.

- هو لم يكلمنى بعد..

- إذن..؟

وسادت لحظات صمت قالت الأم بعدها:

- فهمت من طريقة حديثه عنك ومن نظراته إليك. فلو وافقت لفاتحته فى الموضوع.

نظرت سوسن إليها نظرة ثاقبة تدل على الفهم.. هكذا تحاول الأم

إبعادها عن طريق ابنها.. لماذا؟ هل تريد أن يبقى بلا زواج؟ أم أنها ترفضها زوجة لابنها حتى لو أراد هو ذلك؟

استجمعت سوسن شجاعتها ثم قالت:

- دعيني أفكر يا ماما.

- يسعدني هذا اللقب منك. فأنا أسعى لمصلحتك.

وانسحب ممدوح إلى حجرته من جديد وهو مهموم رغم أنه لم يفكر من قبل أن تتطور العلاقة بينهما إلى أكثر من علاقة عمل..

لكنه الليلة، والليلة بالذات، يفكر فيها كأنثى فقط، وتمنى لو أصبحت ملك يمينه.

وعاد إلى كتابه في الزراعة بعقله الشارد من جديد، وعلى قرب من ذلك البيت وفي بيت المزارعين اجتمع الجميع في حلقة كبيرة يلعبون الورق، ويحتسون الشاي، ويتسامرون.

قال سليمان للعمال الجدد:

- أشك في مستقبل هذه الأرض.

قال محجوب:

- لماذا يا سليمان؟

- إن الماء يتسرب منها إلى الأعماق بشكل يدعو إلى القلق.

قال أحمد:

- لا تخافوا هذا الأمر، فقد أحضر سيدي نوعًا من السماد ما أن يختلط بالرمال حتى يحسن من تماسكها.

نظر العمال إلى المكان الممتد أمامهم وقال سعيد:

- أظنكم ترون الجانب المزروع، لقد كان مساحة رملية صفراء قبل أن نجتهد في تغييرها.

قالت خضرة وهي تتأمل الحاضرين:

- لم أكن أتصور أن بالمكان كهرباء فقريتنا بالمنيا لم تدخل فيها الكهرباء إلى كل البيوت.

قال سعيد:

- الكهرباء هنا من جهاز خاص يسمى الدينامو.

قال سلام:

- بعد أن ننتهى من هذا العشاء علينا أن نفترق كل إلى فراشه حتى تفرغ الحجرة لسعيد ومحجوب وسليمان.

قال سليمان متهكمًا:

- تذهبون إلى حيث الفراش المريح.. أما نحن فلم نرتق بعد إلى مرتبة الأزواج.

رد محجوب قائلاً:

- لقد وعدنا حسام أفندى بشراء أسِرَّة حديدية من أسيوط.

قال سليمان:

- والأجر.. هل وافق على الزيادة؟

- الأجر كما اتفقنا مع مساعده.. عشرون جنيهًا وعليه إطعامنا وإسكاننا وكافة احتياجاتنا.

- هذا لا يتناسب مع ما نحن فيه من غربة.

قال سعيد:

- أعتقد أن الأجر مناسب إذا تذكرت أنك بعد عمل سنوات قليلة تصبح مالكًا لأرض جيدة دون مقابل.

قال محجوب:

- ليست دون مقابل وإنما نحصل عليها بعملنا وإرادتنا وحبنا.

قال سعيد، ولم يفقد حماسه:

- على أى حال فما نحصل عليه يتناسب مع ما نبذله من عمل.

وبعيدًا عن هذا الحوار كانت الحجرات المجاورة تضم أحمد وزوجته وأبناءه فى حجرة، وسلام وزوجته فى حجرة، وحسن وزوجته فى حجرة ثالثة.

وبينما الجميع يتسامرون ويستعدون للنوم إذا بالمكان يظلم تمامًا مما

أثار الذعر لدى العمال الجدد.

فخرج حسن يتساءل، بينما هبَّ سليمان من فراشه مذعورًا.

قال سعيد متضاحكًا:

- ما بالكم؟. هذا موعد توقف الدينامو.

وارتفع صوت نسائيّ:

- الأولاد.

وتعرف سعيد على الصوت فإذا به صوت زوجة أحمد.. قال لها:

- ما لهم!

- طفلي مريض وقد أحتاج للكهرباء حتى أشرف على تمريضه.

قال سعيد:

- منذ متى اكتشفت مرضه؟

- كانت صحته حسنه.. حتى ساعة مضت، ولكنه الآن ساخن.

وإذا بصوت نسائيّ آخر في الظلام:

- ربنا يشفيه.

قال سلام:

- في الصباح أذهبي به إلى المستشفى بالمحاريق.

في تلك اللحظة لمع ضوء في حجرة ممدوح خطف أبصارهم جميعًا، وقالوا في صوت واحد:

- ماذا نرى؟؟

قال سعيد:

- هذا ضوء كلوب في حجرة الباشمهندس.

قال حسن:

- لابد أن يكون لنا واحد مثله حتى إذا ما أحتجنا إلى إضاءة وجدناها..

وتحسس سعيد الطريق في الظلام إلى الحجرات، فمنح كلاً منهم شمعة وكبريتا وهو يقول:

- لا داعى لإضاءتها حتى لا تنفذ، فإذا أصبحتم فى حاجة إليها لم تجدوها. ضعوها فى مكان قريب للحاجة الضرورية فقط.

قالت زوجة حسن:

- لدى لمبة نمرة ٥ ولكن تحتاج إلى كيروسين حتى نوقدها.

قال سعيد:

- فى الصباح ندبر هذا الأمر.

قال حسن:

- شكرًا لك.. والآن فليتوجه كل منكم إلى فراشه.

وتحسس الجميع طريقهم وساد الصمت من جديد، ولم يعد مسموعا بين الحجرات سوى أنين طفل، وشخير سليمان، وهمسات أحمد لزوجته يتشاوران فيما يمكن عمله فى الصباح حتى يشفى الطفل.

ويبدو من الحوار أن زوجته أحست بشىء مما حدث فى غيبتها فى المرة السابقة، وإن لم تعلم علم اليقين.. لكنها الآن تطلب وتصر على أن يذهب هو بابنها إلى الطبيب ويتركها مع بقية الأطفال.

أما فى بيت المهندس فقد جلس يقرأ على ضوء الكلوب فإذا بسوسن تدخل عليه تتصنع الذعر..

- ماذا بك؟

- أخاف.

- مم؟

- من الظلام.

- لكنها ليست الليلة الأولى لك فى هذا المكان!

- لست أدرى.. ولكنى خائفة.

- وماذا أملك لك؟

- دعنى أبقى بجوارك وبجوار الكلوب حتى..

- حتى ماذا؟

- حتى يغلبنى النوم فأذهب إلى فراشى.

- حسن.. خذى هذا الكتاب فتصفحيه.

تناولت الكتاب، نظرت فى غلافه وقالت:

- مصر سنة ٢٠٠٠!!

همت بإعادته إليه فقال لها:

- ألا يعجبك؟

- نعم.. لا.. لا..

- نعم أم لا؟

- الحقيقة ليس عندى استعداد للتفكير فى مستقبل بعد عشرين سنة، وأنا لا أعرف حقيقة الأيام الحاضرة.

نظر إليها مندهشًا.

- الأيام الحاضرة؟

- كيف تفكر فى سنة ٢٠٠٠ وأنت لم تفكر فى العام القادم.

- ومن قال لك إننى لم أفكر فى العام القادم؟

- هل فكرت فعلاً؟

- نعم.

- وماذا عنه؟

- تتصلح الأرض، وأعوض بعض الأموال الكثيرة التى أنفقتها فى هذا المشروع.

- فقط؟

قالتها فى نعومة فهم منها ماذا ترمى إليه، لكنه عاد يراوغ ويدعى عدم الفهم.

- ماذا تريدين أيضًا؟!

- أنا مثلاً لا أعتقد أننى أتحمل الحياة هنا بدون رجل يحمينى.

- أنت مسئولة منى.

- لست أقصد علاقة الموظفة برئيسها.

- تقصدين؟!

- الزواج..

قال فى حسم:

- وأنا لا أمانع فى زواجك من أى إنسان يرضى عقلك وقلبك.

نزلت كلماته كالصاعقة فوق رأسها، فهبت واقفة.. قال لها:

- إلى أين؟

- إلى حجرتى فقد داعبنى النوم.

وتركته ودخلت فى فراشها وهى تتمتم:

- الظلام والأشباح أيسر علىَّ مما سمعت.

أما هو فقد نحى الكتاب جانبًا وأطفأ الكلوب وأخذ يفكر فى المستقبل القريب بعد الكلمات التى سمعها.. فإذا بها تأتى إليه فى أحلامه وتملأ نفسه وكيانه فيحتضنها بكل قوة ويفرغ فى أحضانها ما يشاء من القلق والحيرة والتعب فيخلص جسده من آثار الإرهاق وينام نومًا عميقًا.. ليستيقظ فى الصباح نشيطًا متوثبًا يدير المزرعة كما لم يدرها من قبل..

(٩)

قريبًا من البناء والزرع وقف ممدوح يلاحظ العمال وهى تدق رافعة للمياه بهمة ونشاط يستمدونه من ذلك التيار القوى من الهواء والذى يولد فيهم العناد والإصرار، فيثبتون أقدامهم على الرمال غير عابئين بهجمات الرياح التى تنذر من وقت لآخر باقتلاعهم من فوق الأرض. وما أن يحسنوا الصمود ويستمروا فى العمل حتى يكافئهم الله بأشعة الشمس التى تأتى من بعيد مع خيوط الفجر فتضيع من عضلاتهم أثر الهواء البارد الذى يهب عليهم من وقت لآخر ذلك المناخ الذى تعودوه منذ الميلاد فى القرية القريبة من المزرعة. أما ممدوح فلم يشعر بالهواء أو الشمس فقد وضع نفسه بداخل حلة جلدية مبطنة ووضع غطاء على رأسه يحتمى به من آثار الطبيعة المتقلبة.. هو يراقبهم بعين، أما العين الأخرى فتراقبه من الداخل تحاسبه وتحاول فهم حقيقة مشاعره، ويتساءل.. كيف يدفعها للزواج من الآخر بينما هو يحلم بها على هذا النحو..!!

حاول أن يرى مكنون نفسه.. لكنه وجدها متسربلة بالكثير من التلافيف التى لا يستطيع فضها عن نفسه.

وانتبه على صوت أحد العمال:

- المياه هنا بعيدة عن سطح الأرض.. كما أنها مالحة.

- كيف وعلى بعد قريب منها آبار وروافع للمياه حسنة المذاق؟!

قال آخر: فى باطن الأرض أملاح معدنية فى هذا المكان.

قال سعيد الذى وصل توًا واستمع لجانب من الحديث:

- يمكن تحليل المياه، وربما كانت محتوياتها غير ضارة بالزرع.

قال المهندس ممدوح: لا.. لا.. مسألة التحليل هذه ستضيع وقتًا كبيرًا، حاولوا فى منطقة أخرى.

قال أحد العمال:

- نريد تحديدًا للملكية حتى لا ندق فى مكان ليس مملوكًا لنا..

حينئذ ثار المهندس ممدوح وقال:

- ائتنى بمياه صالحة فى أى مكان قريب ولا شأن لك بالملكية.

حينئذ حمل العمال أدواتهم وراحوا يتحسسون المكان من جديد بحثًا عن الماء العذب. وتركهم ممدوح فى رعاية سعيد وعاد إلى المنزل يقوده إحساس بالأسى والخوف فقد تنهار أحلامه إذا تناقصت المياه فى الآبار وتعذر دق غيرها.. واستقبلته الأم مبتسمة محاولة إخراجه من الحالة التى قدم بها.

- ما بك يا بنى؟

- لا شىء.

- إذا لم تحك لى، فلمن توجه حديثك؟

- منسوب المياه فى الآبار يتناقص، وهم يبحثون عن مكان يحصلون منه على مياه.

وهل الأمر خطير؟

- نعم.

- كيف؟

- لو لم نحصل على مصدر مياه جديد لن نتمكن من الاستمرار.

- والمياه التى لدينا؟

- تكفينا ثلاث سنوات فقط..

وضحكت الأم من جديد قائلة: هذا كثير.

- ماذا تعنى؟

- أعنى أنه لن تظل هذه المنطقة تعتمد على مياه الآبار إلى نهاية العالم.

- ماذا تقصدين؟

- أقصد أن المياه وراء السد العالى ستحتاج إلى نوع من التصريف حتى لا تصبح مصدر خطر على البلاد وعلى السد نفسه، وأعتقد أنهم سيقومون

فى القريب بشق ترعة لتصريف هذه المياه وربما تصل إلينا أو قريبًا منا.

- من قال لك هذا؟

- سوسن.

- ومن أين أتت به.

- اقتراح قرأت عنه فى الصحف.

- مجرد اقتراح.. هل تعلمين أين مكان السد العالى من هذا المكان؟ وكم يمكن أن يتكلف مشروع على هذا النحو؟

- الأعمال الكبيرة يا بنى تبدأ بفكرة.

وبينما هى تتحدث إذا بقطتها المدللة تتمسح بقدميها وتموء ويرتفع صوتها على غير عادة.. فالتفتت إليها فإذا بها تقودها إلى الردهة ثم إلى حجرة سوسن لتراها تضع ملابسها فى حقيبة وهى متجهمة.

- ماذا تفعلين يا بنيتى؟

- سأسافر.

- إلى أين؟!

- إلى أسرتى.. إخوتى.

- إجازة؟

- لا..

- ماذا أغضبك؟

- لست غاضبة.. لكنى مللت الحياة هنا.

- مما مللت، ونحن جميعًا حولك؟

- أنا أشعر أننا فى سجن.

- لهذه الدرجة؟ افتحى الراديو يأتيك بالعالم كله.

- ليس فيه حجارة.

- منذ متى؟

- من عدة أيام.

- ولماذا لم تطلبيها؟

- طلبتها فلم يأت بها أحد.

- إن كان هذا الأمر يسبب لك ضيقًا، فسوف يسافر حسام إلى أسيوط عما قريب.. فتعالى معى نعد قائمة بالأشياء التى نحتاج إليها ويمكنك استعمال الراديو الخاص بى حتى يتم شراء ما يلزمنا من أشياء.

وجلستا حول مائدة صغيرة بين حجرتيهما تفكران فيما تحتاجان إليه وتدونانه.

قالت سوسن: ماذا تحتاجين أيضًا؟

- هل كتبت الملح والدجاج؟

- نعم.

- اكتبى أيضًا، نوع جيد من الكتاكيت فقد أعددت لها مكانًا.

- حسن.. وماذا أيضًا؟

- الأسبرين وقطرة العين، وحجارة الراديو.

- أعتقد أننا نسينا شيئًا هامًا.

- ما هو؟

- يحضر لنا طبيبًا آخر بدلاً من ذلك الطبيب فى المستشفى، الشاب الذى يعالج كل الأمراض.. نحن فى حاجة إلى رعاية صحية.. أنا شخصيًا أشعر بالقلق والضيق، ولا أعتقد أن مجرد شراء بطارية للراديو سيشفينى كما أن ذلك الطبيب الحديث التعيين لا أثق فى خبرته.

سمعها ممدوح فابتسم قائلاً:

- حسن.. أذهبى مع حسام واعرضى نفسك على الطبيب الذى تريدينه وتمتعى برحلة قد تقضى على القلق.

وسعدت سوسن لهذا الاقتراح وبدلاً من أن تكدس ملابسها فى الحقيبة أخذت تتخير الملابس التى تسافر بها.

أما ممدوح فقد شغله التفكير فيما دار بينه وبين أمه من حديث انتهى منه يائسًا مؤكدًا لنفسه أنه حتى لو انتفع بهذه المياه فلن يتعدى ذلك عدة كيلو مترات قريبة من السد العالى.

(١٠)

استيقظت سوسن مبكرة.. تأملت ضوء الصباح من خلال النافذة المغلقة وهى تتوق أن تنطلق وتنتشر مع الضوء وبحركة خفيفة استعدت للسفر الذى باتت تحلم به وارتدت ملابسها ثم فتحت النافذة على مصراعيها ووقفت أمامها تتناول شطيرة أعدتها فى المساء. وشملتها فرحة حينما رأت حسام مقبلاً. أومأت له برأسها فابتسم وأشار إليها بالنزول.

تناولت حقيبتها الصغيرة وحقيبة ملابسها وتنبهت إلى لفافة الشطائر التى أعدتها فدستها بحقيبة الملابس وخرجت على عجل لتستقر فى المقعد الأمامى للعربة.

وما أن انتهى حسام من حركته حول السيارة حتى قالت:

- كل شىء تمام؟

- نعم.

- اذن اركب وانطلق.. انطلق.

قالتها بلهجة حماسية لم يعهدها حسام من قبل مما دعاه ينظر إليها متأملاً..

- ماذا.. هل مللت الحياة هنا؟

- نعم.. وقد أعود.. وقد..

- ما دمت سترحلين معى، فلابد من العودة. لا أريد مفاجآت.

- حسن.. اطمئن.

وركب حسام بجانبها وقبل أن يدير العربة اطمأن على كشف الطلبات الذى زودته به أم المهندس. ثم ضغط على البوق عدة مرات فإذا بممدوح يطل من نافذة حجرته ويرفع لهما يده بالموافقة. ابتسم حسام وأدار

العربة وانطلقت بينما سوسن بجواره تقاوم رغبة الالتفات إلى الخلف وتحث نفسها على مراقبة الطريق البعيد الطويل الممتد والمحاط بالرمال على مدى البصر حتى خرجا إلى الطريق الرئيسى وبدأت تطالعهما بين الحين والحين عربات أخرى.

قالت سوسن:

- ها - ما أجمل أن تصل إلى المجتمع حيث الناس والحركة.

- وقبل ذلك ألم نكن فى مجتمع؟

- لا، فقد جئت فى الظلام فلم أر البلاد كما ينبغى واستيقظت لأرى مجتمعًا صغيرًا منغلقًا تتكرر فيه الأعمال والأفكار.

- سوف ترين بعد ذلك أنك غير محقة فيما ذهبت إليه.

- هل تأكل بعض الشطائر؟

- ليس الآن. وإنما بعد قليل حينما نتوقف فى الاستراحة.

- استراحة؟

- نعم هى على بعد عشر دقائق.

واستمر حسام عاملاً يديه وقدميه على قيادة العربة وعقله مشغول بالطريق تارة وبجلسة هانئة مع سوسن فى الاستراحة القريبة تارة أخرى. أما سوسن فقد ظلت تتأمله وكثير من الأسئلة تدور برأسها. ظلت صامتة لحظات لكنها عجزت عن الاستمرار فى الصمت فإذا بها تقول:

- ألم تفكر فى الزواج يا حسام أفندى؟

تلعثم حسام قليلاً؛ وهدأ من سرعة العربة ثم قال:

- فكرت طبعًا.

- ولماذا لم يحصل؟

- كنت خاطبًا لفتاة من القاهرة، وحينما علمت عزمى على الاستقرار هنا فسخت الخطبة.

- لم تكن تحبك الحب المناسب.

- لم تكن تستطيع الابتعاد عن المدينة بزحامها وناسها.

- لا عليك فقد تجد غيرها خيرًا منها.

- وجدتها.

قالت بلهفة وقد هيأ تفكيرها أنه عزم على طلبها للزواج:

- حقيقة؟.. من؟

أعتدل حسام وقد زاد من سرعة العربة قليلاً وسدد بصره على الطريق مما زاد الأمل فى قلب سوسن التى قالت:

- قلت إنك وجدتها.

- نعم.. ويا ليتنى لم أجدها.

- ماذا تقول؟

حينئذ أوقف العربة قريبًا من استراحة صغيرة على الطريق، والتفت إليها وعلامات الأسى على جبينه فقالت:

- يبدو أن فى الأمر سرًا خطيرًا.

- نعم فى الأمر حفصاء.

- حفصاء؟! - ومن حفصاء تلك؟

- فتاة كالقمر فى هذه الناحية.

- كيف تعرفت عليها؟

- كانت تقوم بعمل المشغولات اليدوية وتبيعها هنا فى الاستراحة.

- هذه الاستراحة؟

- نعم فهى من عشيرة قريبة من هذا الطريق.

حينئذ أقبل شاب يافع مهللاً:

- أهلا.. حسام أفندى.

تعجبت سوسن وهى تتأمل الشاب الذى بدا عليه أنه يلبى طلبات الزبائن..

قال حسام:

- أهلاً بك يا محمدين.

وسارع محمدين فى إعداد منضدة وإعادة تنظيفها وتنظيف المتاعد، وجلست سوسن بينما ظل حسام واقفًا يتأمل المكان..

قال محمدين:

- أعدنا إصلاح الاستراحة.

- واضح فقد أصبحت شيئًا جميلاً.

- هى جميلة دائمًا فى نظرى.

- هذا شىء طبيعى لتعودك عليها. والآن هات الشاى.

وجلس حسام، بينما فضت سوسن لفافة الشطائر وأخذا يتناولان منها على مهل حتى أقبل محمدين فوضع الشاى أمامهما، فسارع حسام يمنحه بعضًا منها.

توقف محمدين قليلاً ثم قال:

- مبروك يا حسام أفندى.

- ماذا؟

- أليست المدام؟

احمرت وجنتا سوسن، بينما تلعثم حسام وهو يتأملها ثم قال:

- المدام ابنة خالى، وقد حضرت فى زيارة على سبيل الفسحة.

قال محمدين فى بساطة وشفافية:

- بكره يعجبها الحال وتقعد على طول.

- ربنا يسمع منك يا محمدين. بالحق قل لى يا أخى لماذا توقف أبناء الشيخ سعفان عن زيارتنا؟ لقد انتهى أمر حفصاء بزواجها من ابن عمها، وأنا لا أحمل لهذه العائلة إلا كل حب وتقدير.

قال محمدين:

- سأنقل لهم هذه الكلمات الرقيقة وسوف يعود الود من جديد.

وانتهيا من احتساء الشاى وتناول الشطائر، وقاما فى حماس فاستقلا السيارة التى كان عامل المحطة يجرى لها اللازم واستأنفا المسير.

الطريق طويل ممتد يبدو على البعد مسدودًا تتقابل فيه الرمال بالرمال تارة، أو الرمال بالنخيل والخضرة، وقليلاً ما تلتقى الخضرة بالخضرة. يطل بين الحين والحين أبنية متواضعة وآناس يهرولون فى أرديتهم الفضفاضة.. ومع توسط الشمس فى السماء زادت سمرة الوجوه وهرولتهم من ظل إلى ظل والظلال قليلة ومهمة فى تلك المساحة الكبيرة الجرداء.

بدأ حسام يشعر بالحر، فتوقف وخلع جاكتته ووضعها خلفه، أما سوسن فقد سبق أن تخلصت من شالها الأبيض الكبير عند التوقف بجانب الاستراحة، وها هى ذى تشعر بالحر من جديد، فتحت الأزرار العليا من فستانها المحتشم فبدت أكثر إثارة فى عينى حسام. ابتسم واستأنف السير.

وقريبًا من القرية التالية أشار لهم أحد الأهالى ليحمله فى الطريق فقالت له سوسن:

- فلنساعده فى حدود طريقنا.

نظر إليها حسام فى غيظ، فقد أفسد عليه عابر الطريق خطته فى الأنفراد بسوسن ومحاولته التقرب منها.

ابتسمت سوسن، بينما ركب البدوى من الخلف وهو يشكره بلسانه ويده تجفف عرقه بمنديل أزرق كبير.

ووجدت سوسن فى هذا المرافق فرصة للتعرف على أهل البلاد. فالتفتت إليه قائلة:

- من أين يا شيخ؟

- من أرض الله الواسعة.

- ألا تنتمى إلى قرية معينة؟

- لا والله. لى ولعشيرتى من الحرية والحركة أكثر مما يتاح لهؤلاء المقيمين فى القرى والمدن.

قال حسام:

- ومن أى شىء تكسبون رزقكم؟

- رعى الأغنام يا بنى.

ووجدتها سوسن فرصة، فطلبت منه أن يأتى ببعض بضاعته إلى المزرعة فى أى يوم، ووعدته بأن يتخفف منها فى طريق العودة. وتولى حسام تحديد مكان المزرعة.

قالت سوسن:

- أين أنت ذاهب؟

- ليس بعيدًا سأترككم بعد عشر دقائق.

- فقط؟

قالها حسام متهكمًا وهو ينظر إلى سوسن، بينما قالت سوسن:

- ظننتك سترافقنا إلى أسيوط.

- يوه..! لا.. لا..

- أبعيدة هى عليك إلى هذا الحد؟

- الآن هى ليست بعيدة.. لكن زمان كان أمر السفر إليها يحتاج إلى ترتيب طويل.

- متى؟

- منذ ثلاثين سنة فقط. لم يكن هذا الطريق معبّدًا على هذا النحو. وكان الطريق غير مأمون والسفر فيه مخاطر كثيرة.

- جربتها؟!

جربتها مرتين كدت ألقى حتفى فى مرة منها.

- كيف؟

- ركبت مع سائق نقل فى طريقه إلى أسيوط لشراء بعض لوازم أتاجر فيها، وكانت العربة قديمة والطريق وعرًا وليس به من يساعد فى أى ظروف.

- وتعطلت العربة؟

- نعم فى منتصف الطريق، وحاول السائق ومعه مساعده إصلاحها

دون جدوى.. حتى هاجمتنا الشمس والحر فوقف السائق ينتظر عربة تقله إلى أسيوط ليأتى بميكانيكى ليصلح السيارة. وطال بنا الوقت والانتظار فقد كان هذا الطريق شبه مهجور والعربات التى تمر فيه قليلة وأحسست بالإعياء فتحركت بعيدًا آوى إلى منعطف فى الصحراء فيه ظل، وبعد أن سرت مسافة تسمح لى برؤية العربة وجدت صخرة كبيرة على جانب الطريق فأويت إلى ظلها وجلست ألتقط أنفاسى وأجفف عرقى.. وغلبنى النوم.

واستيقظت لأجد الظلام يلف كل شىء.. تحسست طريقى إلى مكان العربة فلم أجدها وانخلع قلبى..

وصمت البدوى قليلاً، فإذا بسوسن تتأمله جيدًا من جديد بعد أن وجدت فيه تلك القدرة الفطرية على الحكى، ويبدو أن البدوى أعجبه أيضًا أنها اكتشفت فيه ذلك..

فانتظر قليلاً حتى قالت له:

- وماذا بعد ذلك؟

- تذكرت ما كان أبى يحكيه لى عن الصحراء والذئاب فاحتميت بالصخرة وأخذت أتطلع إلى الطريق لعلنى أجد ضوء سيارة قادمة من بعيد إلى أى اتجاه تحملنى ليس الأمر مهمًا. المهم أن أغادر هذا المكان.. وظللت طوال الليل يقظًا خائفًا، ولم تمر سيارة واحدة وأنا أرهف السمع لصوت الرياح لأتبين إن كان الصوت لرياح، أو ذئاب، أو لقطاع طريق.

قالت سوسن مبهورة بقصته:

- هذه ليلة رهيبة. وماذا تم بعد ذلك؟

- فى الصباح مرت سيارة فحملتنى إلى أسيوط وأتممت المهمة التى من أجلها سافرت.

- كان الله معك تلك الليلة.

- ودعوات الوالدين.. كنت شابًا يافعًا مطيعًا لوالدى رحمهما الله.

قال حسام:

- لا تجعل الحديث يلهيك عن المكان الذى تقصده.

- لا تخف يا بنىّ. سأنزل عند مجموعة النخيل الآتية قريبًا.

وتنهد حسام وهو يوقف السيارة ويهبط منها البدوى بينما قالت سوسن له:

- لا تنسى أن تأتى إلى المزرعة.

- بمشيئة الله.

قال حسام بعد أن ابتعد البدوى:

- قال سأغادر العربة بعد عشر دقائق، وأخذ يثرثر نصف ساعة.

قالت سوسن:

- ليس الوقت فى حساب هؤلاء القوم تمامًا مثلنا.. لكنه على أى حال كما يبدو رجل طيب.

- كل أهل هذه المنطقة بسطاء.

- الحمد لله أن الانتقال هذه الأيام غير زمان. فالطريق ممهد ويمر بك من وقت لآخر من يشاركونك الطريق.

- نعم كما أن هناك خدمة.

ومرت تلك اللحظة سيارة أتوبيس ركاب أنيقة ظهر منها أن بها عددًا من الركاب الأجانب.

قالت سوسن:

- هذه السيارات المكيفة أيضًا شجعت الكثير على زيارة المنطقة.

- والأكثر من ذلك خط الطيران الذى تساهم فيه المحافظة ولا تحمّل الركاب إلا أسعارًا رمزية.

- فى الإجازة القادمة سأعود إلى القاهرة بالطائرة بمشيئة الله.

- لماذا؟

- لأننى لم أركب الطائرة فى حياتى، وهذه فرصة لأجرب.

- قبل أن تشعرى بالتجربة ستجدين نفسك قد وصلت.

- هكذا سريعًا؟

- أقل من ساعة.

- ولو..

- والآن حدثينى عن نفسك قليلاً، فأنا أعلم أنك سبق لك الزواج.

ووجدت سوسن فرصة للحديث عن نفسها والإفضاء بما تعتلج به نفسها من قلق وتوتر، وما تشعر به من سوء الحظ الذى يلازمها.

وتركها حسام تتحدث وتتحدث وهو يستمع بنصف عقل، بينما يقود السيارة فى هذا الطريق الخالى الممهد وهو مطمئن يكاد يغفو من الحر والكسل.. وبعقل بين اليقظان والنائم قال لها فجأة:

- لماذا لا تتزوجين مرة ثالثة؟

قالت سوسن وهى تتنهد وتتذكر محاولات أم المهندس إبعادها عن ابنها:

- كيف؟ ومن يرضى بعد أن مات زوجان لى..؟!

- وما الغريب فى هذا الأمر؟

- أقصد أن البعض يعتقدون أننى شؤم.

- شؤم.. ها.. ها..

ضحك حسام وعقله مازال مخدرًا تحت وطأة الحر.

قالت سوسن:

- ماذا يضحكك؟

- إذا كان الأمر كذلك.. فأنا أعرض الزواج عليك.

- لماذا؟

- لكى أموت.. ها.. ها.

وألقت سوسن برأسها إلى الخلف واسترخت وكأنها ألقت حملاً ثقيلاً عن كاهلها.. وأغمضت عينيها ولزمت الصمت.

واستمرت السيارة فى سرعتها بينما امتد الصمت لحظات طالت على حسام فقال:

- لماذا تسكتين..؟ ما قولك؟

- اتركنى أنام.

وأغمضت عينيها وشريط حياتها يمر بمخيلتها والأمل فى الزواج من المهندس ممدوح يتضاءل أمام ناظريها..

واستعادت بعض المواقف التى بدا فيها حسام صاحب همة ومروءة وخبرة فى كثير من الأمور.. ثم وضعت منظارًا شمسيًا على عينيها وراحت تتأمله من خلفه وهو يقود السيارة متجهم الوجه، وكأنه فى امتحان صعب.

أحست بشىء من اللامبالاة.. لكنها عادت إلى نفسها قليلاً ثم اختلست النظرة مرة أخرى لترى حركة ذراعيه وقدميه واستواء ظهره وهو يجلس أمام عجلة القيادة فى ثقة.

وقررت فجأة أن تقبل الزواج منه.. لكنها عزمت على ألا تخبره هكذا عن رأيها فى الطريق.. وفضلت أن تؤجل ذلك لحين الانتهاء من الرحلة.

وبعد إغفاءة قصيرة فى السيارة تنبهت على عدد من السياح الأجانب يحثون الخطى على الطريق.. حاملين أمتعتهم على ظهورهم.

قالت فى دهشة:

- من أين جاءوا؟!

قال حسام بلا اكتراث:

- يبدوا أنهم نزلوا من الأتوبيس المكيف الذى رأيناه منذ قليل.

وعاد إلى الصمت من جديد غير أنها فى هذه المرة لم تغفُ وإنما أخذت تقلب الأمر بدهشة.. لماذا؟.. كيف؟ ربما.. احتمالات كثيرة متعددة وقصص كثيرة مرت بخيالها عن هؤلاء السياح الأجانب.

(١١)

عاد المساعد الأول من مدينة الخارجة حاملاً العديد من الصحف والخطابات.

استقبله الجميع يسبقهم الشوق إلى خبر أو رسالة من بعيد. ظل الأمل يداعبهم حتى رأوا ثلاثًا من الرسائل تستقر فى يد المهندس ممدوح بينما لم يبق سوى رسالة واحدة..

قال أكثر الحاضرين فى وقت واحد: لمن؟

ابتسم المساعد، وقال وهو يلتفت حوله:

- الخطاب لحسن.. أين هو؟

- فى المنزل.

- أعطه له يا أحمد.

قالت زوجة أحمد فى أسى:

- أسرتى نسيت أن لها ابنة هنا.

أمسك أحمد بذراعها فى ودّ عائدين إلى المنزل، وقال:

- ستسافرين إليهم قريبًا.

قالت بفرحة غامرة. حقًا؟!

ودخل المهندس ممدوح ومعه الصحف والرسائل واستلقى فى فراشه متكاسلاً بعد أن ألقى بالصحف جانبًا وشرع يفتح الرسائل.. وجد الخطاب الأول من صديقه العالم يخبره فيها بنتيجة فحص النبات الذى أكله أحمد من قبيل حب الاستطلاع، والذى كان يعتقد أنه عرضه لمتاعب فى علاقته مع زوجته.

أخذ يقرأ فى نهم.. ثم اعتدل بعدها يتمتم.. النبات نوع من نبات الشيشلان!! وأنه نبات برى يستخلص منه أدوية مرض السكر..!! وأنه لا

علاقة بين تناول هذا النبات، وما أحس به من أعراض!!

حينئذ ضحك وهو يضع الخطاب فوق المنضدة القريبة من الفراش، وسرح قليلاً فى أحوال أحمد وكيف استقامت علاقته بزوجته بعد أن عولجت مما كانت تعانيه.

وفض الخطاب الثانى ليجده من ابنة خالته عزة.. تسأل عنه وعن خالتها وتشيد وبالدور الذى يؤديه، وتتمنى أن تزور الصحراء لتجدها جنة خضراء، وكلمات به أخرى بين السطور استطاع ممدوح أن يقرأها فى يسر.. ورجف قلبه لكنه عاد يتذكر الحلم الذى حلم فيه بسوسن بين أحضانه وثورتها يوم أمس على بقائها فى الصحراء..

وأغمض عينيه ليتخيل عزة، ولكنه رآها فى صورة مهتزة باهتة كادت تضيع ملامحها.. فاعتدل فى الفراش.. وفض الخطاب الثالث ليجده من المحافظة تستدعيه لتسوية أمر امتلاك الأرض.. وتسليم المستندات.

وضع الرسالة الأخيرة تحت الوسادة وتناول الصحف وشرع يقرأ فيها.. استغرق فى القراءة حتى دخلت عليه أمه حاملة صينية الشاى.. أضاءت الحجرة وهى تقول:

- ضوء النهار بدأ يزول.. كيف تقرأ هكذا؟

قال لها وهو مبتسم:

- متشكر يا أمى.. الحقيقة لم أنتبه أن النافذة مغلقة.

تناول الشاى منها، همت بالانصراف فاستوقفها قائلاً:

- عزة بتسلم عليكِ.

- عزة؟.. كيف حالها؟

- حصلت على الليسانس.

- ألف بركة.

- وتسعى خالتى لتزويجها.

- اخطب لبنتك.

وصمت كلاهما قليلا مستغرقين فى التفكير.

وعادت الأم تقول:

- هل تعرف أنها عروس مناسبة..

- لمن؟

- وهل لدى أولاد غيرك؟

- عزة فتاة على خلق.

- وجميلة.

- تريد أن تزورنا.

- حسن تفعل.

- وهل اتركها تأتى وحدها؟

- ماذا ترى؟

- نذهب إليها ونأتى بها.

- ماذا تعنى بنذهب هذه؟

- ألم تشتاق لرؤية أختك؟

- نعم.. متى؟

- اتركى أمر الوقت للظروف.

وتركته الأم يداعبها أمل قديم كادت تيأس من تحقيقه، بينما أخذ ممدوح يقلب فى الجرائد فى ملل شديد زاد منه حرارة الجو، فسارع إلى النافذة التى أغلقها الهواء ففتحها لكن ذلك لم يُجْد شيئًا، فعزم على الخروج فى الخلاء لعله يجد من الهواء ما يساعده على تخفيف حرارة الجو.

سار حول البيت وأخذ يسير متأملاً قرص الشمس وهى تغيب والشجيرات المحيطة بالمبانى والمزرعة ينعكس عليها ضوء الشفق يمنى النفس أن يراها حين تصير أشجارًا مورقة مثمرة.. ونخلاً باسقًا، وسرح بفكره فإذا به يرى له زوجة وأطفالاً يمرحون فى مروج خضراء تحت الشمس تارة وفى الظلام تارة أخرى.. وظل يسير وهو يحلم ويتأمل النبت الضعيف فى الأرض حتى ساد الظلام وتعدت به المسافة فإذا به يفيق فجأة على شعور غامض بالخوف حاول التغلب عليه والتظاهر أمام

نفسه بالثبات فالتفت إلى الوراء عازمًا على العودة..

لكنه فى التفاتته هذه رأى المركبة المضيئة تعود مرة أخرى إلى المنطلقة.

وتسمرت ساقاه فى مكانه ولم يدر كيف يتصرف.. وفجأة وجد الحسناء الغريبة أمامه تبتسم فى ود..

قال لها: كيف جئت؟

- تبعثرت فى الهواء ثم تجمعت أمامك.

- نعم.. نعم.

قالها وهو شارد: اجلس.

قالتها وكأنها تعرفه من مدة طويلة. ووجد نفسه يجلس على الرمال أمامها وقد مدت قدمًا وثنت الأخرى فى لباسها المنتفخ الفضفاض ثم قالت:

- هذه الأرض تحتاج إلى مجهود كبير لكى تخضر.

- نعم.

- أنا فى مقدورى أن أقلل هذا المجهود.

- كيف؟

قالها بلهفة لا تتناسب مع الخوف الذى اعتراه عما قليل.

فضحكت قائلة:

- بالعصا السحرية.

- العصا السحرية!!

- نعم.. هى أشبه بالفأس المعروف لكم.

نظر إليها ممدوح يكاد لا يصدق موقفه هذا. بينما استمرت الحسناء فى حديثها قائلة:

- هذه العصا تقلب الأرض وتغير من خواصها فتجعلها صالحة للزراعة.

- كيف؟

- هى اختراع أحد علمائنا.

- حسن.. حسن هل يمكن أن أراها؟

- بشردل.

- ما هو؟

- لها ثمن..

- ما قيمتها؟

- ليس نقودًا بالطبع.. فنقودكم لا تعنى عندنا سوى قشور معدنية لا فائدة منها.

- إذن ماذا تريدين؟

- آدمى.

بهت ممدوح وحملق فيها جيدًا قبل أن يعيد ما سمعه.

- آدمى؟

- نعم.

- ماذا تفعلون به؟

- نعرّضه لتجربة.

- تجربة؟

- نعم.

- ما هى؟

- هى من أسرار كوكبنا.

- ويعود؟

- بالطبع.

- أحصل على العصا السحرية أولاً وأجربها.

- لك هذا.

- متى؟

- فى الغد صباحًا عند الفجر.

لم تنتظر منه جوابًا وإنما تلاشت فى الهواء كما أتت، ووجد ممدوح نفسه وحيدًا من جديد. نظر بعيدًا ليرى المركبة تبتعد.. أخذ يتأملها جيدًا ليؤكد لنفسه أنه فى واقع وأنه مستيقظ ولم يكن الحوار السابق مع

الحسناء حلما، حتى أختفت المركبة فى الظلام وعاد أدراجه إلى البيت وصوتها يتردد على مسامعه وحلم الحصول على العصا السحرية يسيطر عليه. لكنه يفيق على ثمنها الغالى الذى لا يملك توفيره فهو لا يستطيع أن يكبل آدميًا ويقذف به فى مركبة غريبة.. كما أنه لا يستطيع أن يقنع أحدًا بالتطوع لهذه المهمة.

ودخل حجرته وألقى بنفسه على الفراش بملابسه وقد تعذر عليه تصور ما سوف يحدث فى الغد.. ذلك الغد الذى يحمل معه مفاجأة قد تكون فيها سعادته وقد يكون فيها شقاؤه.

وظل ممدوح مستيقظًا قلقًا حتى بدأت خيوط الفجر تتسرب إلى الأفق وتنتشر بطيئة تلف الظلام وتلتهمه فى وجبة إفطار شهية. وكان لا يزال بملابسه، فخرج على عجل وبخفة حتى لا يوقظ من فى البيت.. وظل يتسلل بين الأشجار الصغيرة القصيرة ليقابل ضوء الفجر هناك حيث وعدته حسناء الكوكب أن تأتى له بالعصا السحرية.. وحث الخطى فوصل فى وقت قصير.. اعتراه قلق شديد لكنه عاد يتذكر أنها تتبعثر فى الهواء ثم تتجمع فجأة، فظل ينظر حوله لعله يرى شيئًا دون جدوى.. حينئذ بدأ اليأس يتسرب إليه فجلس على الرمال، وأخذ يخطط فيها بإصبعه خطوطًا متقاطعة متقابلة ويتخيلها لوحة فنية.. وظل كذلك بضع دقائق حتى كاد ينسى الغرض الذى من أجله وصل هذا المكان.. وفجأة وجدها قائمة أمامه تتأمله وهو منكب على رسم الرمال.. حينئذ نفض يديه من آثار الرمال ونهض واقفًا قبالتها وقال:

- أهلاً..

- هل تأخرت عليك؟

- قليلاً.. هل جئت بالعصا السحرية؟

وبدلاً من أن ترد عليه مدت يدها بداخل سترتها الفضفاضة فأخرجت منها عصًا معدنية ذات ألوان متعددة وبها بعض الأزرار. سلمتها له وقالت: ها هى ذى.

أخذ يتأملها ويحاول فهمها لكنها أمسكتها منه قائلة:

- تصوب العصا نحو الأرض هكذا وتضغط على الزر الأبيض لمدة خمس دقائق ثم تضغط على الزر الأحمر خمس دقائق أخرى وسوف ترى النتيجة.

قال لها بلهفة:

- أجرب.

- لك ما تريد.

تناول منها العصا، وفعل مثلما قالت له، وأخذ يحملق فى الرمال ولونها يتغير شيئًا فشيئًا لتصبح أرضًا سوداء صالحة للزراعة، وهو يحملق فى دهشة متأملاً تلك العصا العجيبة.

قالت له:

- هل تستحق الثمن؟

- نعم.. نعم.

قالها وهو شارد مسلوب التفكير وقد سرح خياله فرأى تحول تلك الأرض إلى جنة وارفة الظلال ثم أفاق على صوتها يقول:

- لن أسلمها لك إلا إذا سلمتنى آدميًا.

متى يمكنك ذلك؟

سرح بفكره وقد وجد فى أبناء أحمد حلاً لتلك المشكلة فليأخذ طفلاً منهم وليدعى أنه ضل الطريق أو مرض فى رحلة معه ومات وسوف يصدق أبواه.. وتأملته حسناء الكوكب وكأنها تقرأ أفكاره فقالت له:

- أريد آدميًا مكتمل النمو.. لا أريد أطفالاً..

حينئذ انزعج ممدوح وتأملها فى خوف، وهَمَّ بمغادرة المكان بسرعة فقالت له:

- سأنتظرك ها هنا.. بعد أسبوع ومعك الآدمى.

وما أن انتهت من كلمتها حتى تبعثرت فى الهواء لتعود إلى مركبتها التى لم تكن قريبة أو مرئية من هذا المكان.

(١٢)

جلس المهندس ممدوح ووالدته إلى مائدة الغداء وقد خلت المقاعد لأخرى التى تعودت أن يشغلها حسام، سوسن، والمساعد الأول.. قال ممدوح قبل أن يبدأ الطعام:

- هل أرسلت طعامًا كافيًا إلى المساعد الأول؟

- نعم. لكن لماذا لم يحضر ليتناول غداءه معنا كعادته؟

بدأ ممدوح فى تناول الطعام ثم ردَّ على أمه فى أسى:

- هو مشغول هذه الأيام فى مزرعة الدواجن لعلاج الكتاكيت التى أُصيبت فجأة بمرض جعل عددًا كبيرًا منها يموت.

- أعوذ بالله.

قالتها الأم فى حسرة ثم أستأنفت تناول الطعام وهى تقول:

- لكن ما هو هذا المرض.. ولماذا؟ أقصد..

- الحقيقة يا أمى أن العمل كثير على المساعد الأول.

قالت الأم فى تهكم:

- والمساعد الثانى غاب ولا ندرى سر غيابه.

قال ممدوح:

- حسام لا يبتعد عن العمل إلا لسبب قوى.

- مر أسبوع على سفره ومعه سوسن. ترى لماذا كل هذا الغياب؟!

- كان المفروض أن يعودا فى اليوم الثالث.

- كم أنا قلقة يا بنى.

وما كادت الأم تتم كلماتها حتى سمعا صوت عربة حسام فى الخارج وجلبة وحركة قاما على أثرها يستطلعان الخبر. فوجئ الجميع بحسام ينزل من العربة ثم يساعد سوسن على النزول ويطوقها بذراعيه ويقبلها

أمام الجميع. وقف الفلاحون مندهشين. بينما ضربت أم المهندس على صدرها فى خجل قائلة:

- ما هذا؟

أستمعا إلى همهمات الموجودين ونظر كل منهما إلى الآخر فى صمت بينما طوق حسام سوسن وحمل بالذراع الأخرى حقيبة الملابس ووصلا إلى مدخل البيت قائلا:

- كم أنا مشتاق إليكم.

قال المهندس فى حذر:

- حمدًا لله على السلامة.

قالت الأم.

- يبدو أن للتأخير سببًا قويًا.

قالت سوسن:

- نعم يا أمى. نعم فقد تزوجنا.

ألجمت المفاجأة الحاضرين لحظات.. استعادت الأم بعدها اتزانها وقالت لها:

- تعاليا إلى مائدة الطعام فلابد أنكما جائعان.

جلس كل من حسام وسوسن إلى مائدة الطعام بينما وقف ممدوح فى النافذة يتأمل الأفق وقد كاد تفكيره يُشَلُّ من المفاجأة.. دخلت الأم إلى المطبخ تعد طعامًا إضافيًا. أما سوسن وحسام فقد تجاهلا كل من حولهما، وأخذا يثرثران فى سعادة وكأن البيت لا يضم سواهما.

وبعد الغداء وقفت سوسن أمام باب حجرتها حائرة. بينما جلس حسام إلى ممدوح يتحدثان فى العمل، بينما تنبهت الأم لارتباك سوسن.. قالت لها:

- البيت كبير ويمكنكما أن تقيما معًا فى حجرتك.

قالت سوسن:

- بصفة مؤقتة لحين إعداد مكان مستقل.

ألمتها كلمات سوسن، لكنها تظاهرت بالسعادة.

دخلت سوسن إلى حجرتها وهالها ما أحست به من غربة، وكأنها تدخلها للمرة الأولى.. غيرت ملابسها واستلقت فى الفراش وراحت تفكر فى مستقبلها بعد أن خطت تلك الخطوة الجريئة.

أما حسام فقد خرج مع المهندس ممدوح للمساعدة فى القضاء على ما أصاب مزرعة الدواجن من مرض.

ووقفت زوجة سلامة تغسل الصحون، وتتأمل أم المهندس فى وجومها غير المعتاد، ثم قالت:

- فاجأتنا السيدة سوسن بأمر هذا الزواج.

قالت الأم:

- أرجو أن يكون هذا سببًا لاستقرارها، فقد كانت قلقة فى الفترة الأخيرة.

- على أى حال فالسيد حسام رجل يستحق كل خير لكننا نريد أن نفرح بالباشمهندس ممدوح.

- قريبًا يا ابنتى إن شاء الله.

- هل نوى حقيقة؟

- نعم.

- الآن يجب أن نحتفل بالزوجين العروسين.

- معك حق.

- نعد بعض الحلوى.

- نعم.

- وندعو أهل الناحية..

- لا بأس.

وانتهت الأم مما بيدها، فغسلت يديها وجففتهما قائلة:

- أنا الآن متعبة.. المطبخ به كل شىء وتعرفون مكانه.. اصنعوا ما شئتم وأيقظونى بعد أن تنتهوا.

- حسن، سوف أدعو باقى الزوجات وسوف ينتهى فى أسرع وقت.

وتركتها الأم ودخلت حجرتها وأغلقت الباب خلفها وما أن اطمأنت إلى وحدتها وأن أحدًا لن يراها حتى ارتسم الحزن والغم على وجهها وراحت تتمتم بكلمات غير مفهومة، وكأنها تسب الناس جميعًا. فقد ملت الحياة على هذا النحو المتكرر الذى تجرى فيه الأحداث دون استئذانها أو حساب لارادتها.

أما زوجة سلامة، فقد خرجت لتعود ومعها زوجة حسن وزوجة سعيد.

وما أن استقررن بالمطبخ حتى أخذت كل منهن تقترح عمل نوع من الحلوى وتتحمس له.

فصرخت فيهن زوجة أحمد قائلة:

- فلنر أولا الأشياء الموجودة. والتى يمكن استعمالها، ولأى شىء تصلح.

قلن جميعًا:

- معك حق.

وأخذن يحصين ما بالمخزن من أصناف وكمياتها، وفجأة صرخت مهللة زوجة حسن:

- سوف تصنعون الأرز باللبن كما قلت.

قالت زوجة سعيد:

- والدقيق يكفى لصنع نوع آخر من الحلوى.

قالت زوجة أحمد:

- تفكرون فى الحلوى فقط..! هل هذا يكفى!

قالت زوجة سعيد:

- نحن على استعداد للعمل، هل هناك أصناف أخرى؟

قالت زوجة سلامة:

- لم لا؟

قالت زوجة أحمد لزوجة سلامة:

- اذهبى للباشمهندس، واطلبى منه خمسة أزواج من الدجاج الكبير، واطلبى منه أن يدعو أصدقاءه من جيران الناحية.

قالت زوجة سعيد:

- جيران الناحية؟ إذن خمسة أزواج لا تكفى.

قالت زوجة أحمد فى ثقة:

- أنا أعلم أنه لن يدعو أكثر من شخصين أو ثلاثة.

قالت زوجة حسن:

- وإذا لم يحدث ما توقعته تصبح فضيحة؟

- اذن اطلبى ذكرين من البط بالإضافة إلى الدجاج فإذا زاد الطعام، فليبق لليوم التالى.

وخرجت زوجة سلامة بهذا الأمر، بينما انطلقت باقى الزوجات فى إعداد كل شىء. وفى لحظات كان المطبخ أتونًا من العمل، كذلك النار المشتعلة فى المواقد.

(١٢)

اجتمع المزارعون جميعًا بعد أن فرغوا من أعمالهم فرحين مستبشرين بذلك الزواج الذى تم فجأة وبدون تعقيدات. وجلس حسام بينهم بينما جلس المساعد الأول بجوار ممدوح.

قال المساعد:

- إذا توصلت إلى اتفاق مع الشيخ سعفان على شراء الدجاج بشكل دورى يكون ذلك أفضل.

قال له ممدوح:

- سوف نرى.

ووجدها ممدوح فرصة لكى يحكى لمساعده عن مسألة العصا السحرية التى كان يكتم سرها حتى تلك اللحظات، وأخذ المساعد ينصت إليه باهتمام.

وفى الجانب الآخر جلس الفلاحون فى دائرة يثرثرون فى شئون الحياة العادية حينما قاطعهم أحمد قائلا:

- ما هذا؟ أليس فيكم من يجيد الموال أو الرقص؟

قال سلامة ضاحكًا:

- أنا أجيد الغناء. لكن ليس قبل أن تمتلئ البطون.

قال سعيد:

- غنِّ لنا قليلا وبعد الطعام غن أكثر.

وتحمس الكثير لهذا الكلام وصفقوا وهللوا.. سلامة.. سلامة..!

وشرع سلامة يغنى للصبر وفرحة الصابرين والجميع ينصتون ويتأملون. وفى تلك اللحظات حضرت سوسن فهمَّ البعض إلى النهوض لتحيتها. لكن حسام أشار لهم بالجلوس فى صمت وأشار إليها بالجلوس

دون حديث. تأملت الحاضرين وعلامات النشوة على وجوههم. فاستندت بذراعها على كتف حسام وهمست إليه:

- مبروك.

ابتسم حسام ونظر إليها نظرة إعجاب ولم يقل شيئًا. ووجد ممدوح نفسه ومساعده منفصلين عن الجماعة فنهضا من على مقعديهما وتوجها لينضما إلى الدائرة الجالسة على الأرض يستمعان إلى الغناء. ولم يلبثا مع الجماعة إلا قليلا حتى حضر الشيخ سعفان ومعه عدد من أهل القرية، فنهضا من جديد وعادا إلى جلستهما المحتشمة التى انضم إليها الضيوف، غير أن الشيخ سعفان اقترح نقل المقاعد حول الدائرة الجالسة على الأرض حتى يشاركوا فى السمر والغناء. وما أن انتهى سلامة من الغناء حتى نهض أحد الضيوف وطلب رقصة التحطيب أحضر أحمد عصىّ التحطيب التى يحتفظ بها فى حجرتهم، ونهض سعيد أمام الضيف والتقط كل منهما عصاته، وشرعا يرقصان رقصًا رشيقًا حذرًا سعيدًا والجميع مشدوهون لانطلاق ذلك الضيف الذى ألف الجماعة وكأنه يعرفها من مدة طويلة.

وبعد لحظات استأذنت سوسن لترى النسوة وتساعدهن، وتركت الجميع لتختفى فى جوف البيت وتنضم إلى جماعة إعداد الطعام. وجدت كل شىء قد أُعد.. فطالبتها الأم بالاشراف على إعداد المائدة ولما كانت المائدة لا تكفى لهذا العدد فقد اقترحت عمل أكثر من مائدة على الأرض على أن يجلس الضيوف على مائدة الأم ووجدت سوسن فى ذلك تفرقة قد تؤلم الفلاحين، فاقترحت أن تنقل المائدة فى الفناء أمام المنزل حيث يتناول الجميع طعامهم فى مكان واحد..

ولم يستغرق ذلك وقتًا كبيرًا، بل أسرع الجميع بالعمل وصارت الموائد معدة على نحو يرضى الجميع فنهض ممدوح داعيًا الشيخ سعفان والضيوف ومساعده الأول وحسام.. وبعد أن جلسوا وجدوا مقعدًا خاليًا فنادى سوسن لكنها اعتذرت قائلة:

- سأجلس ها هنا مع النسوة.

ابتسم المساعد الأول قائلا:

- ادعُ الأم الكبيرة.

نظر ممدوح إلى الشيخ سعفان وضيوفه، وتنبه لعاداتهم فأحجم عن هذا الأمر، ونادى أحمد بصفته أكبر الفلاحين سنًا.. فقام من دائرته متهللا سعيدًا وانضم إلى مائدة الضيوف.

وبدأ الجميع يتناولون الطعام الشهيّ فى سعادة. أما سليمان فلم يستطع أن يخفى ضيقه الشديد، ذلك الضيق الذى يبدو عليه كثيرًا حتى صار سمة من ملامحه منذ وفد إلى هذا المكان، وقد ظن جماعة المزرعة بادئ الأمر أن ذلك شيئًا طارئًا بسبب إحساسه بالغربة وقلة الإمكانيات.. لكنهم بعد أن خبروه جيدًا تبين للجميع أنه ما ترك أسرته والوادى الأخضر إلا بدافع ذلك الضيق ومحاولة للهرب منه، وفهموا أنه لم يتكيف مع أهله ورضوا بأقل درجة من التكيف معه بعد أن فهموا ذلك.

نظر الجميع اليه وهو يبرطم بكلمات غير مفهومة غير أنها واضحة فى معناها، فهى تعنى احتجاجًا صارخًا على قيام أحمد من بينهم وانضمامه إلى السادة.

قال سعيد:

- أحمد أخونا الكبير، ويمثلنا جميعًا.

وقال سلامة:

- لا شك فى ذلك، كما أن المائدة لا تكفينا جميعًا.

عاد سليمان يبرطم من جديد:

- أنا لا يمثلنى إلا نفسى.

وضحك الجميع محاولين تغيير ذلك الجو الكئيب.

قال سعيد ضاحكًا:

- إذا ظللت على هذا الحال، تناولنا نصيبك من الطعام.

قال سليمان ولم يزايله غضبه:

- وهل هذا شئ جديد.

قال سلامة:

- ما معنى هذا؟

- كلام، والسلام.

وانكب الجميع يتناولون الطعام الذى كان وفيرًا وشهيًا. وفى الجانب الآخر جلس النسوة على رأسهن الأم وبجانبها سوسن يشدن بصنع أيديهن فى إعداد الطعام، بينما جلس الأطفال بينهن، فأصبح هَمُّ كل أم إطعام أطفالها قبل أن تُطْعَم هى.

قالت الأم:

- كل الأصناف مطهوة على نحو جيد.

قالت زوجة أحمد:

- هذا حظ السيدة سوسن.

قالت زوجة سلامة:

- أرجو أن نقيم وليمة أخرى قريبًا فى فرح الباشمهندس.

- إن شاء الله.

قالتها الأم فى ثقة و تفاؤل.

أما المائدة الكبيرة فقد بدت فيها الوليمة، وكأنها أعدت للعمل وليس للزواج. إذ أخذ الملتفون حولها يتحدثون فى جديَّة فى كافة الأمور المهمة التى تهم المنطقة. والمهندس يستمع إلى أحاديثهم المتعددة المتنوعة بعقل شارد لا يمسُّ لُبَّ أى موضوع فيها، وكأنه يغوص بداخل نفسه أو قوقعته باحثًا عن شىء لا يجده فى تلك الجلسة، ولا كل تلك الأحاديث.. لاحظ الشيخ سعفان ذلك، قال:

- هناك ظاهرة خطيرة يا باشمهندس.

- ما هى؟

- الآبار السطحية بدأت مياهها تجف.

قال المساعد الأول:

- الآبار السطحية ليست عملية.

قال أحد الضيوف:

- لكن كثيرًا من السكان يعتمدون عليها، كما أن البئر العميقة بعيدة وحفرها مكلف للغاية ولا يطيق على إنشائها أحد السكان.

قال المهندس:

- الحل أن يساهم أهل القرية جميعًا فى حفر بئر عميقة تفيد القرية كلها.

قال الشيخ سعفان:

- البئر العميقة التى حفرتها الحكومة لا تغطى المساحة كلها.

قال أحدهم:

- ومع هذا، فمياهها تندفع من باطن الأرض بصفة مستمرة حتى لو لم يحتجها أهل المنطقة.

قال حسام:

- المهندس ممدوح كان بعيد النظر، فحفر بئرًا أخرى.

قال ممدوح:

إذا تأزمت الأمور لديكم يمكن الاستعانة بالبئر الخاصة بنا.

قال المساعد الأول:

- مقابل مبلغ سنوى.

ابتسم الشيخ سعفان، وهو ينظر إلى المساعد الأول قائلا:

- نحن نفهم قيمة المياه هنا، وإذا أخذنا شيئًا فلابد أن ندفع ثمنه.

قال حسام مغيِّرًا الموضوع:

- هل أنتم فى حاجة إلى دواجن؟

- قال الشيخ:

- ماذا تقصد؟

- أقصد دجاجًا وبطًا مثلا للاستهلاك.

قال أحد الضيوف ضاحكًا:

- إذا كان كما نأكله الآن فلا مانع.

وضحك الجميع، لكن الشيخ سعفان عاد إلى الجدّية قائلا:

- فى القرية المجاورة لنا بدأ مشروع جديد لتسويق هذه المنتجات، يمكننى الاتفاق معه، وإخطاركم.

فرح الجميع لهذه الروح الجديدة من التعاون والحب بين أهل الناحية، وبين والوافدين إليها من وادى النيل.

وانتهز المهندس ممدوح فرحته ليسأل:

- أليس لديك علم بما تريده المحافظة منى؟ لقد أرسلت لى خطابًا فى الأسبوع الماضى.

قال الشيخ سعفان، وكأنه عليم بكل شىء:

- نعم أعرف.

اندهش الجميع وأنصتوا، فاستأنف يقول:

- وصل المحافظة بعض الشكاوى من مجهول تفيد أنكم تستولون على مساحة أكبر من المخصصة لكم.

قال المهندس:

- الحقيقة أننا نستصلح الأرض لا لفرد واحد، وإنما هناك عقود بينى وبين العاملين بالأرض على تملك جزء منها بعد مضى فترة كافية من العمل.

هز الضيوف رءوسهم إعجابًا بالفكرة.

أما الشيخ سعفان فقد أطرق مفكرًا، وسادت لحظة صمت.. قال بعدها:

- عندى فكرة.

وأنصت الجميع.

- الحل فى إنشاء جمعية تعاونية.

وهلل الجميع للفكرة، فاستأنف الشيخ سعفان حديثه قائلا:

- فى هذه الحالة سيكون من حق الجمعية امتلاك مساحة أكبر. على أى حال اذهب إلى المحافظة واعرض هذه الفكرة، وإذا حازت القبول ابدأ بالتنفيذ فورًا.

وظل العشاء والسمر ممدودين إلى و قت متأخر من الليل ختمه الحاضرون بالاستماع إلى غناء سلامة من جديد، ورقص أبناء أحمد الصغار. وشيعوا العروسين فى النهاية إلى حجرتهما بالزغاريد والتهانى.

وبعد قليل ساد السكون المكان.. أغلق كلٌّ من سكان المزرعة باب حجرته وراءه، وأثقلت الوجبة الدسمة الجفون فارتفع صوت الغطيط من خلف الأبواب.

أما الزوجان الجديدان، فقد سعدا بسهرة ممتعة عوضتهما عن تلك الليلة التى أتما فيها الزواج فى فندق متواضع بأسيوط أحسا فيه بعدم الراحة.

لكنهما بعدما ضاع الإجهاد من نفسيهما وجسديهما، عادا يتذكران تلك الرحلة التى قربت بينهما وجمعت بين قلبيهما دون سابق ترتيب.

وما أن تسلل الكسل والنوم إليهما حتى أخذ كل منهما ينكمش بداخل نفسه وينفصل عن صاحبه مستعدًا لساعة أو بعض ساعة ينام فيها. لكن سوسن فى تلك اللحظات لم تستطع طرد أحلامها القديمة بالزواج من المهندس، وتخيلته وهو جالس القرفصاء على فراشه وبيديه كتاب يقرؤه تحت ضوء مصباح.. تأملت زوجها وابتسمت متمتمة.. الحمد لله.

(١٤)

لم يمض يومان على ذلك الحفل البهيج حتى كان خبر حسناء الكوكب وعصاتها السحرية متداولا بين أهل المزرعة.. منهم من صدَّق بلا مناقشة مستعيذًا بالله من مخلوقاته الغريبة، ومنهم من قلب الأمر على كافة وجوهه، ومنهم من بهره الخبر وجذبه ما سمع من حديث لكنه لم يعره اهتمامًا.

أما القسم الأول، فينتمي إليه أغلب النساء وبعض الرجال المؤمنين إيمانًا صوفيًا وأما القسم الثانى فشمل بعض الأزواج والشباب الوافد حديثًا إلى المنطقة، أما الأطفال فقد مسَّهم خوف طبيعيٌّ أخذت أمهاتهم تحاول التغلب عليه. وسرى تساؤل خافت بين الجميع شغل الأطفال أكثر من أمهاتهم.

- تُرى هل يسلم المهندس إلى تلك الحسناء واحدًا من سكان المزرعة للحصول على العصا السحرية؟ - ترى كيف يتم ذلك؟

أما القسم الثالث، فقد ظهر من بينهم صوت يحثهم على العمل وترك تلك الخزعبلات، ذلك صوت المساعد الأول الذى جمعهم فى الصباح الباكر ومعه أوراق الجمعية التعاونية ليتم تحريرها قبل أن يغادر المسكن إلى مقر العمل.

واحتوتهم الغرفة الواسعة التى أعدت لاجتماعاتهم وبيت فيها الشبان العُزاب الوافدون حديثًا لحين إعداد مسكن لهم.

صمت الجميع حتى انتهى المساعد الأول من كلماته. ثم رفع أحمد رأسه قائلا:

- ماذا تعنى بذلك؟

- أعنى أنه لا سبيل إلا العمل لكى تحققوا ما تريدونه.

قال سعيد:

- تعنى أن ما يدعيه الباشمهندس محض وهم؟

قال المساعد الأول:

- هذا لم يثبت بعد.. وإن ثبت، هل يضحى أحدكم فيذهب مع هؤلاء الأغراب إلى حيث لا يعرف مصيره؟

وجم الجميع بينما تنحنح سليمان قبل أن يقول:

- وهل يعرف أحد مصيره هنا؟!

قال أحمد:

- ماذا تقصد؟

- أقصد أن الموت مرة واحدة.. ولا يعرف أحدنا متى وكيف يصادفه.

قال سعيد:

- لكن ديننا نصحنا بألا نلقى بأيدينا إلى التهلكة.

ظل الجميع لقوله.. بينما نسَّق المساعد الأول أوراقه على المنضدة الصغيرة التى تتوسط الحجرة، وأخذ يكتب بياناتهم فردًا فردًا.

استلقى سليمان على الفراش البعيد فى ركن الحجرة وقد عقد كفَّيه تحت رأسه، وراح يتأمل سقف الحجرة، ويفكر فيما سمعه من كلمات.

حينئذ دخلت زوجة أحمد تحمل صينية الشاى فتناول كل منهم كوبه وراح يحتسيه فى انسجام، وبعد أن تناول الجميع الشاى وجدت نفسها تقف وعلى الصينية كوب واحد.. قالت:

- من منكم غائب؟

حينئذ تنبه أحمد إلى سليمان الممدد بعيدًا فى فراشه فتناول منها الصينية وأمرها بالانصراف، بينما توجه بالشاى إلى سليمان الذى تناوله منه قائلا:

- متشكر.

جلس أحمد على حافة الفراش القرفصاء ثم قال:

- لماذا أنت وحدك دائمًا؟

هل تفيدك الإجابة؟

- أنت واحد من أسرتنا الكبيرة الآن، وتهمنا راحتك.

- متشكر.

قالها وعاد إلى تأمل السقف من جديد في صمت.

- لم تقل شيئًا.

- ماذا تريد أن تسمع؟

- أريد أن أراك سعيدًا مندمجًا مع المجموع.

- هذا الأمر لايد لي فيه.

- ماذا تعني؟

- أعني أنني أحب الوحدة منذ طفولتي.

- كيف؟

- هكذا.. هكذا ولدت.

- ألا يضايقك هذا؟

- لا، ولعلمك لقد تركت أهلي وحضرت هنا لأنعم بالوحدة.. ومع هذا لم أجدها.

قالها في عصبية دفعت أحمد للنهوض آسفًا على مجالسته، لكنه التفت إليه قبل أن ينصرف:

- نصيحة من أخيك الكبير.. لا يستطيع إنسان أن يعيش بمفرده وأن يستغني عن الناس، هذه سنة الحياة على الأرض.

ابتسم سليمان ساخرًا متهكمًا..

- سنة الحياة على الأرض؟!

تأمله أحمد.. ضايقه ما يراه منه.. عاد إلى الجمع الذي كاد أن ينتهي من أعداد الأوراق. وقف يتأمله الجميع والأمل يطل من عيونهم، والمساعد الأول سعيد بكل ذلك حتى انتهى من عمله.

واعتلأت الاستمارات التي أُعدت لهذا الغرض.. فيما عدا استمارات سليمان، وحسام وسوسن.

التفت حوله متسائلا:

- أين سليمان؟

حينئذ نهض سليمان.. أدلى بياناته فى شىء من عدم المبالاة ووقع مكان التوقيع، وعاد إلى فراشه من جديد.

نهره المساعد الأول قائلا:

- لا وقت للنوم. هيَّا مع زملائك إلى العمل.

تحفز الجميع إلى الخروج للعمل، وخرج سليمان خلفهم فى تكاسل. أما المساعد الأول فقد تركهم ليذهب إلى حسام وسوسن اللذين كانا لا يزالان نائمين.

قابلته الأم ضاحكة:

- أيقظهما.. كفى كسلا.

وقف المساعد الأول مرتبكًا. تحركت الأم فى جرأة وطرقت الباب طرقات خفيفة. جاءها صوت سوسن:

- نعم يا أمى.. حالا سأخرج.

ولم يستغرق المساعد الأول وقتًا كبيرًا فى انتظارهما، بل كانا فى لحظات حوله يملآن الاستمارات..

قال حسام وهو يتحدث إلى صديقه المساعد الأول:

- اذهبى يا سوسن فأعدى لنا الإفطار.

ابتسمت سوسن، ولفت الروب حول جسدها ودخلت المطبخ... سألت الأم:

- هل تناول المهندس ممدوح إفطاره؟

قالت الأم فى قلق:

- لا يا ابنتى لقد خرج مبكرًا جدًا، ولم يتناول شيئًا من الطعام.

قال المساعد الأول:

- أنا أيضًا لم أتناول إفطارى.

قال حسام:

- إذن أعدى الإفطار لنا جميعًا.

ولم تكد سوسن تنتهى من اعداد الإفطار، حتى كان المهندس ممدوح قد عاد..

هلل المساعد الأول قائلا:

- جئت فى الوقت المناسب.

قال ضاحكًا:

- نعم فأنا أشعر بالجوع حقًا.

التف الجميع حول المائدة يتناولون الطعام..

قالت الأم وهى تمضغ الطعام بتأنٍ:

- لى عتاب عليك أيها المساعد الهمام.

- فيم يا أمى؟

- أوراقك هذه أليس لى نصيب منها؟

ارتبك المساعد، وقال متلعثمًا:

- هى كلها أوراقك فماذا تقصدين؟

- لا أريدها كلها.. فقط أريد أن يكون لى ورقة كباقى العاملين بالمزرعة.

هَمَّ المهندس ممدوح بالكلام، لكن حسام أوقف الكلمات على لسانه قائلا:

- معها حق.. معها كل الحق.

ساد صمت لحظات.. قالت سوسن بعده:

- مازالت الأوراق فى يدنا ويمكن تدارك ما نسيناه.

قال المساعد الأول:

- نعم.. نعم..

تمسحت القطة البيضاء بين قدمى الأم، ألقت اليها بقطعة خبز وبيض تناولتها وأخذت تتموء، وكأنها تعترف بالجميل.

قال المساعد الأول:

- هل تعرفون أن هذه القطة تكون الوحيدة من جنسها فى هذه المنطقة؟

قال حسام ضاحكًا:

- أنا مستعد للسفر إلى وادى النيل الأخضر، وأحضر لها زوجا مناسبًا.

ضحك المساعد الأول قائلا:

- هل أعجبك السفر من أجل المناسبات السعيدة؟

ابتسمت سوسن، وهى ترى حسام يتأملها من وقت لآخر بحب.

قال المهندس ممدوح بعد لحظات متأملة:

- لست أدرى كيف انتشر خبر حسناء الكوكب والعصا السحرية على هذا النحو من السرعة.

قالت الأم:

- وما الضرر فى هذا؟

تمتم المهندس فى سره:

- إذن الفضل فى ذلك لك.

اعتدل بعد أن انتهى من تناول طعامه قائلا:

- أخاف أن يصيب هذا الخبر سكان المزرعة بالذعر.

قال المساعد الأول:

- لا تخف.. لقد كنت معهم الآن، وأرى أن تصرفاتهم طبيعية للغاية.. فيما عدا..

- فيما عدا.. من؟

- سليمان.

- ما به؟

- لست أدرى.. لكنه لا يألف الجماعة.

- ماذا تقصد؟ هل هو خائف.

بالعكس. ان به روح مغامرة.. لدرجة..

- لدرجة ماذا..؟ أكمل..

- لست أدرى مـا ينوى عليـه... لكنه قـد يفـعل أشـيـاء تدعـو إلى الدهشة.

انفض الجميع.. وقفت سوسن ترفع المائدة وانطلق كلٌ إلى عمله.

دخل المهندس ممدوح إلى حجـرة المكتب.. جلس يفكر كأنه يقف فى مفترق طرق متعددة ينتهى كل طريق فيها لحياة تختلف كل الاختلاف عن الطرق الأخرى. لم يستغرق فى تفكيره كثيرًا حتى سمع صوت سليمان يقف أمامه.

- أنت؟

- نعم أنا، وما الغريب فى ذلك؟

- ماذا تريد؟

- أنت الذى تريد.

- أنا؟

- نعم.. تريد العصا السحرية.

- لكنى لا أملك ثمنها.

- أنا أقدم الثمن.

- أنت؟

- نعم.

- كيف؟

- أذهب مع الحسناء إلى كوكبها.

- أنت!! لا.. لا.. أنت مجنون.

- لست مجنونًا.

- هل تعرف أنه..

- قد لا أعود؟ لا، بل سأعود.

- مما تستمد هذه الثقة؟

- أنا أعرف أن قبرى هنا، وليس فى كوكب آخر.

- كيف؟

- رأيت ذلك فى الحلم.

نظر المهندس ممدوح إليه فى دهشة.. أخذ يذرع الحجرة ذهابًا وإيابا.. همَّ بشرح بعض المعلومات عن هذه المخلوقات وكيف أنهم لا يتناولون من الطعام ما تعوَّد عليه.. لكن شيئًا ألجمه.. سادت لحظات صمت ثقيلة.. قال بعدها المهندس:

- أنا لا أريد هذه العصا.

قال سليمان متحديًا:

- لكننى أريدها.

- أنت؟

- نعم.

- كيف؟

- اجلس نتفاهم.

جلس المهندس ممدوح، أخذ يستمع إلى سليمان الذى انطلق يتحدث عن أحلامه وآماله التى يريد تحقيقها بسرعة ولا تسعفه الظروف عليها، وكيف تساعده المغامرة على تحقيق ذلك.

قال المهندس متهكمًا:

- تعنى أنك تريد مقابل مغامرتك نصف الأرض؟

- ليس بالضبط، وإنما نصف الأرض التى تستصلحها بتلك العصا السحرية.

- آه.

أطرق المهندس ممدوح وتأمله، وقد زايله الشعور بالشفقة وقال له بحماس:

- موافق.

(١٥)

مضى أسبوع على لقاء ممدوح بحسناء الكوكب، مضى سريعًا سرعة تبعث الخوف والفزع فى قلب ممدوح.. الآن يجب أن يذهب إليها.. أن ينفذ الصفقة، فيسلمها سليمان ويتسلم العصا السحرية.. الرعب يزحف إلى جميع أطرافه.. يتخلل جذور شعره.. يتأمل سليمان يسير بجانبه فى الظلام هادئًا وكأنه مسوق إلى جنة الخلد. قال له فجأة:

- أليس هناك شىء تقوله؟

- الدنيا ظلام شديد.

- هل أنت خائف؟

- لا... لا..

- مكابر أو معتوه.

قالها له فى عقله، ولم ينطقها لسانه.

عند المكان الموعود وقفا فجأة.. قال سليمان:

- هل تأتى هنا؟

- نعم.

- هل هى جميلة حقًا؟

- نعم... لكن.

قالها ولم يكمل الجملة حتى كانت الحسناء الواقدة من بعيد أمامهما.. قال المهندس ولم يزايله الخوف:

- حضرت فى موعدك!

- نعم.

- وحضر معى سليمان.

- اسمه سليمان؟

- نعم.

تأملته.. أحست بقلقه.. فابت[illegible] وسا[illegible] عينيه.

قال سليمان وهو يتأمل وجهها المضىء فى الظلام: شكرًا.. شكرًا..

فجأة اقتربت مركبة الفضاء منهم.. أصيب سليمان بالذعر لأول مرة منذ عقد الاتفاق؛ لكنه خجل أن يتراجع... مدت الحسناء يدها إليه تدعوه إلى التقدم نحو المركبة.. نظر سليمان إلى ممدوح الذى أومأ له بالموافقة وهو يقول:

- لكن أين العصا السحرية؟

حينئذ أخرجت الحسناء تلك العصا التى سبق له أن رآها وألقت إليه بها. وفى لحظات كانت بداخل المركبة ومعها سليمان.

وتضاءلت الأضواء تدريجيًا حتى تلاشت واختفت المركبة فى طيات الظلام ليعود ممدوح ممسكًا بالعصا العجيبة، وهو يكاد لا يصدق نفسه.

سار ممدوح فى الظلام يحدث نفسه حديث النفس والضمير..

- لو سأل عليه أهله.. ماذا أقول؟

- خرج ولم يعد!!

- لا... لا القصة كما حدثت، لم أجبره على شىء.

هل سيعود حقًا؟!

- تُرى بأى أخبار عظيمة يعود؟

- سوف يحدث انقلابًا علميًا رائعا.

وتنبه إلى العصا بيده فأطبق عليها بكلتا يديه ورفعها إلى فمه.. قبّلها. حث الخطى فى طريق العودة. ويتخيل الفضاء المحيط به من أشجار مثمرة بعد قليل من الجهد. عزم أن يخرج مع أول خيوط الفجر إلى الحقل، ليبدأ العمل بالعصا السحرية. وصل إلى بيته.. ألقى بجسده المتعب على الفراش.. قبل أن يخلع ملابسه وضع العصا السحرية تحت الوسادة..

استغرق فى نوم عميق. وكأنه يعوِّض أيام القلق والسهر السابقة.

(١٦)

اختفت المركبة فى الظلام بعد أن أطفأت أنوارها وظلت تتحرك كقطعة من الليل، غير أن سليمان لم يشعر بحركتها وظل مشغولا بمتابعة حركة قائدها الذى كان شديد الشبه به على الأرض لكنه الآن وبعد أن مضى من الوقت أكثر من ساعة بدأت ملامحه تتغير.. لونه يتحول إلى الأصفر وعيناه تقتربان حتى تكادان تصبحان عينًا واحدة. أما باقى جسمه فقد اختفى بداخل حلة معدنية كتلك التى ترتديها الحسناء التى شجعته على الذهاب معها. لم يجدها.. حضر إليه رجل آخر شبيه بقائد المركبة، وكأنه توءم - قال له:

- أين الحسناء؟

- تنام قليلا.

- إلى أين نحن..؟

- إلى كوكبنا.

- بعيد؟؟

- ها.. ها.. ها..

بدأ الخوف يهاجمه لأول مرة، لكنه تماسك وجلس حيث أجلسوه ينظر من نافذة المركبة. المركبة تسير بين كتل السحاب الفضى.. فجأة وقفت المركبة بين سحابتين.

حضر ثالث لا يختلف عن الاثنين الذين رآهما.

قدم إليه تفاحة حمراء شهية. تناولها سليمان بلهفة وأعمل فيها أسنانه على الفور. ظل الكائن الغريب ينظر إليه فى دهشة حتى انتهى من تناولها.

قال سليمان:

- أليس هناك غيرها؟

- لا..

صمت سليمان وقد أحس ببعض الشبع.

قال الرجل الغريب:

- نبدأ التجربة.

- أى تجربة؟

- لا شأن لك بها.

- أكون فى تجربة ولا أعرفها؟

- نعم.

- هل هى ضارة؟

- لا.

عاد الهدوء إليه قليلا ثم قال:

- تفضل.

أشار إليه الرجل الغريب بعد أن فرد مقعدًا فأحاله إلى فراش.. لم يفهم سليمان.. قال له:

- نم هنا.

- لا أريد النوم.

- لابد أن تنام.

وتمدد سليمان فى الفراش ولم يدر شيئا مما حوله، كان فى لحظات في عالم النوم والأحلام. وضع الرجل الغريب بعض الأسلاك على رأسه ووصلها بأجهزته، وأخذ يسجل.

أستيقظت الحسناء وحضرت إليهما... قال لها الرجل الغريب:

- زايله الخوف تمامًا.

- حسن.

- أيقظيه بعد ساعتين.

- متى نبدأ التجربة؟

- فور استيقاظه... أحضرى الحقن الاحتياطية.

جاهزة.

واستأنفت المركبة المسير فى خط مائل مستقيم تشق السحاب، فيحدث صوتًا مألوفًا لهم. أما سليمان فقد استغرق فى النوم من أثر المخدر الذى وضع له فى التفاحة.

واجتمع الأغراب الثلاثة بعد قليل فى مقدمة المركبة، بينما تركوا الحسناء تراقب الآدمى النائم والأجهزة الإلكترونية حوله تقيس وتحسب وتخرج بالنتائج فى قصاصات صغيرة عليها أن تقرأها أولا بأول، ولم يستغرق ذلك وقتًا طويلا حتى حضر اثنان من الثلاثة، أما الثالث فظل أمام جهاز القيادة. أخذ الغريبان يبرطمان بلغة لا يعرفها أهل الأرض غير أن الحسناء تعرفها جيدًا.. أخذت تنصت ثم دخلت معهما فى حوار بهذه اللغة العجيبة..

استقر رأى الثلاثة أن تكون بداية التجربة وهو نائم إذ لا داعى للأنتظار حتى يستيقظ، كما أنهم بذلك يوفرون كثيرًا من المشقة.

فى الحال شرع أحدهم فى عمل التوصيلات اللازمة لجسد سليمان الذى ظل ممدًا لا حراك فيه. وما أن تأكد أن كافة التوصيلات سليمة حتى ضغط على زر خاص. حينئذ تكور الجسد الآدمى وانفرد فى لحظة.. أعاد التجربة، فإذا بسليمان يستيقظ صارخًا صرخة متألمة:

- ما هذا؟!

قال أحدهم فى هدوء:

- التجربة.

- أية تجربة؟

- التى اتفقنا عليها.

- لم نتفق على شىء محدد.

- إذن دعنى أفهمك.. نحن نجرب قدرة الإنسان على تحمل جرعات من الكهرباء، وإمكان استغنائه بها عن الطعام.

قالت الحسناء ضاحكة:

- أى قدرته على أن يتحول من طبيعة بنى آدم إلى طبيعتنا.

تنبه سليمان فجأة لهول المفاجأة.. صرخ:

- ألا تأكلون مثلنا؟!

- لا.. وإنما نستمد طاقتنا من الكهرباء.

قال الثالث:

- مثلما تتحرك السيارة لديكم بالبنزين.

صرخ سليمان:

- لكن لابد لى أن آكل.. لا.. لا يمكن أن أتحول إلى آلة.

قالت الحسناء:

- نحن نجرب فقط.

- هذا فيه هلاكى.. نعم هلاكى.

قال الثانى:

- لن نحرمك من الطعام مرة واحدة.

- معنى هذا أننى سأُحرم؟

- إذا أثبتت التجربة نتائج معينة.

- معنى هذا أننا مكلفون بالحفاظ عليك.

اعتدل سليمان وسط ثلاثتهم، وقد برزت عيناه من الخوف والقلق وصاح فجأة:

- أريد العودة.

- ها.. ها.. ها.

انطلقت الضحكة الساخرة من الثلاثة تبعها الرابع خلف عجلة القيادة.

اقتربت الحسناء منه قائلة:

- سليمان حبيبى.

خدرته الكلمات الحانية الخالية من المعنى. جلس وأخذ ينصت.. استأنفت:

- أنا وعدت بإعادتك، لكن لابد لك من مساعدتنا على نجاح التجربة.. والآن بماذا تشعر؟

- جسمى يؤلمنى.

- كيف؟

- كله.

- وماذا أيضًا؟

- كما أننى جائع.

وحضر الثانى بصينيته المعدنية عليها تفاحة، لكنها فى هذه المرة خالية من المخدر.

واستأنفت المركبة المسير.

(١٧)

وقف ممدوح فى جانب من المزرعة بينما وقف المزارعون فى جانب آخر.. الجميع يؤدى عمله الروتينى التقليدى سعيدًا به متفائلا.. أما ممدوح فقد مسح ببصره المساحة التى أعمل فيها عصاته السحرية وارتد النظر سريعًا ليعلنه ضآلة تلك المساحة. نصف فدان فقط تم إصلاحها فى يوم كامل منذ شروق الشمس حتى الغروب.

ها هى الشمس تغيب.. يجب عليه أن يعود فقد تخلف عن الغداء اليوم. أقترب منه أحمد بعد أن أنهى عمله قائلا:

- لا بأس بما حصلنا عليه من تلك العصا.

- لكنى أراها مساحة محدودة.

- تزيد كل يوم بإذن الله.

- هل تناولت غداءك يا أحمد؟

- نعم أحضرته لى زوجتى.

- إذن سوف أذهب أنا لتناول الطعام، وعليك بإعمال العصا فى مساحة أخرى.

وشرح له كيف تعمل العصا.. يضغط على الزر الأبيض خمس دقائق ثم يضغط على الزر الأحمر خمس دقائق أخرى.. مسألة بسيطة يمكن لأى مخلوق استعمالها.

تركه ممدوح وترك معه العصا، وذهب إلى بيته يحلم بالمساحة المنزرعة كبيرة والملكية واسعة.

استقبلته الأم منزعجة.

- تأخرت كثيرًا.

- لا تقلقى.

- كان المساعد الأول يبحث عنك.

- لماذا؟

- لكى يعرض عليك الثمن الذى جاءه من التاجر.

- ولماذا لم يأت؟ مكانى معروف.

- الحقيقة قلت له تصرف بلا خوف.

- فعلت خيرًا، وهل باع الدواجن؟

- نعم، وقد وضعت النقود فى الخزينة.

جلس ممدوح على مقعد المائدة وقد طوح رأسه للخلف كمن يبحث عن حل مشكلة مستعصية..

تأملته الأم قائلة:

- ألا تريد الطعام؟

- وهل أحضرت شيئًا؟!

- ظننتك أكلت.

- أين فى المطعم أم الفندق؟!

- لماذا هذا الضجر؟ ظننتك طعمت مع الفلاحين.

- لا.. كنت مشغولا..

وضعت الأم الطعام على المائدة وتركته إلى المطبخ لتعد الشاى.. تنبه إلى القطة البيضاء تتمسح به. تفجر داخله حنان لم يشعر به من قبل وأحس خوفًا وقلقًا وشفقة على سليمان.. تساءل فى صمت:

- ترى هل يعود؟ ترى ماذا يفعلون به؟

تناول طعامه والأسئلة تكبر وتكبر ولا يجد لها إجابة.. قدمت الأم حاملة الشاى الذى تناوله منها على عجل، ودخل إلى حجرة نومه.

استلقى فى الفراش بينما تناول الجرائد التى أحضرها المساعد من المدينة، تصفحها بسرعة وهو شارد الفكر. وغفا قليلا.. لم يستغرق فى النوم إلا دقائق استيقظ بعدها على أثر ضجة بالخارج..

هب مذعورًا ليرى ماذا حدث. وجد أحمد ومعه سعيد وحولهما ابنا

أحمد، والأم تسألهم عن سبب مجيئهم على هذا النحو.. قال أحمد متعلثمًا:

- العصا خربت.

كلماته أصابتهم بالدوار، تقدم المهندس من أحمد وخطف العصا منه..

- ماذا تقول؟

- لا تأتى بأى نتيجة!

- كيف؟ لقد استصلحت بها بعض الأرض.

- لكنها الآن لا تصلح.

- لماذا؟

- لست أدرى.

- صنعت بها خطأ.

- لا لقد اتبعت ما قلته لى تمامًا..

- إذن.

أخذ يتأمل العصا.. يضغط على الأزرار فلا يصدر الصوت التاعم الذى تعوده.. تقدمهم خارجًا من البيت، وفى أقرب مساحة من الرمال وقف يجربها.. لا أثر البتة.

حينئذ ثار ثورة هوجاء. أمسك بخناق أحمد فى عصبية لم يعهدوها من قبل.

- ضيعت كل شىء يا حيوان.. ضيعت كل شىء.

حاول أحمد أن يتخلص منه. لكن قبضة ممدوح كانت قاسية. حينما أفلت أحمد عاجله ممدوح بركلة من قدمه.

حينئذ تقدم بينهما سعيد وباقى الفلاحين الذين حضروا عند سماع الصوت الصاخب الغاضب وخلوا بينهما. كل ذلك والعصا ملقاة على الأرض.. أمسك بها طفل من أبناء أحمد.. أخذ يعبث بها فى الرمال، تنبه إليه ممدوح انحنى عليه بسرعة واختطفها منه. داعبه أمل فى

إصلاحها. عاد المزارعون إلى منازلهم، وعاد ممدوح إلى حجرة نومه.. لكنه لم يستطع النوم تلك الليلة فهو يتقلب العصا فى كل الاتجاهات ويقلب المشاكل المحيطة به على كل الوجوه.

أحست الأم به ساهرًا قلقًا.. دخلت إليه بعد أن انتصف الليل.. قالت:

- ترى ماذا يضايقك.

- ألا ترين؟

- نعم أعلم. لكن.. لا تدع هذا الأمر يسيطر على حياتك.

- ترى هل ضحكوا عليّ؟ هل سخروا منى؟

تنبهت الأم لكوب الشاى على المنضدة بجانب الفراش كما هو.

عادت تقول:

- إنهم ليسوا من أهل الأرض، ولا تعرف أخلاقهم.

- معهم سليمان يا أمى.. معهم سليمان.

لقد ذهب إليهم متطوعًا. هل أجبرته على شىء؟

- لا..

- إذن ماذا يحيرك؟

- ذهب فى مقابل امتلاك مساحة كبيرة من الأرض المستصلحة بهذه العصا.

- أنت لم تخدعه.

- بل خدعته.

- كيف؟

- احتفظت لنفسى بسر حياة هؤلاء القوم.

- أى سر؟

- إنهم لا يأكلون؟

- وما الغرابة فى هذا؟ إنهم من كوكب آخر.. سلالة لخلق آخر.

- لكن سليمان بنى آدم لا يعيش إلا إذا أكل.

- ضرورى أن ذلك فى حسابهم.

- أخاف.. أخاف يا أمى.

وساد صمت لحظات.. فكرت الأم فيها سريعًا وعادت لتقول:

- اترك التفكير فى هذا الأمر الآن، وفكر فى ابنة خالتك التى وعدت بزيارتها.. أريد أن أفرح بك.

- أريد أن أطمئن على سليمان أولا يا أمى.

- إذا ظللت على هذا الحال كثيرًا ستصاب بالجنون، أحزم أمرك ولنسافر إلى خالتك.

ثم قالت وهى تتصرفَ:

- هل تريد أن أسخن لك هذا الشاى الذى نسيته؟

قال: لا بل سأشربه باردًا.

وتركته يفكر حتى غلبه النوم.

ومع بداية الصباح تناول العصا السحرية مرة أخرى يداعبه أمل فى أنها لا تعمل إلا مع ضوء النهار.. يتمتم..

- لعلها صالحة.. لعلها صالحة..

وجربها مرات ومرات فى الصباح وتحت حرارة الشمس، وجدها كتلة خامدة لا قيمة فيها.. عاد إلى المنزل كسير النفس أسيف الحال لتستقبله أمه وتحدد معه موعدًا للسفر لخطبة ابنة أختها.

ونام ليرى سليمان فى منامه معلقًا بين الأرض السماء فى تلك الكرة المعدنية الكبيرة وقد بدا عليه الإعياء والمرض. نهض من فراشه باكيًا يدعو الله أن يعود سليمان إلى الأرض، فإذا بصوت يصله.. حقًا لقد اتفقنا على أن يكون لى نصف الأرض المستصلحة بتلك العصا السحرية..؟ أليس كذلك؟

- نعم.

- وها هى قد فسدت..؟ أليس كذلك؟

- نعم.. كيف عرفت؟!

وسادت لحظات صمت. أخذ ممدوح يتحسس ملابسه وجسده ليتأكد من أنه مستيقظ، وأن ما يسمعه ليس صوتًا فى حلم.

حينئذ صاح:

- متى تعود؟

- لماذا؟!!

- هل أعجبك ما أنت فيه؟

- وهل تراني؟

- نعم أراك عجوزًا مريضًا.

- إذن لماذا أعود؟

- فلتعد، ولنرى ماذا نفعل.. هل تستطيع العودة؟

وانقطع الصوت وساد الصمت من جديد، لكنه أصبح صمتًا مخيفًا يحمل بين طياته المفاجآت.

(١٨)

استيقظت الأم كعادتها فى الصباح الباكر قبل طلوع الشمس، تعودت أن يكون المكان فى هذه الساعة من الصباح هادئًا صامتًا لا يشعر بها إلا قطتها.. أما اليوم فالأمر يختلف. ثم حركة بين المزارعين.. وصوت الكلب ينبح بلا انقطاع.

أطلت من النافذة المطلة على مدخل البيت، فإذا بسعيد قادم إليها يهرول وقد بدا على نبرات صوته الانزعاج..

- أحمد وأسرته.

- ما بهم؟

- طفشوا.

الخير غير عادى مازال النوم فى صوتها وأذنيها..

أعادت السؤال:

- ماذا تقول؟!

- أحمد وزوجته وأولاده هربوا.

- إلى أين؟

- لست أدرى.

- هكذا فى الليل؟

- نعم.

- لماذا؟!

- كان متضايقًا من معاملة المهندس له وضربه أمامنا.

وتنبهت الأم لما حدث، وتذكرت لكمه وركله بسبب ما أصاب العصا السحرية.

ضربت كفًا بكف قائلة:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

- ماذا نفعل الآن؟

وقفت الأم حيرى وساد صمت، قطعه سعيد قائلا:

- أنا أعرف أن له أصدقاء فى القرية القريبة منا ربما ذهب إليهم.

- وهل نجبره على البقاء هنا..؟ لا.. لا..

- نحاول الإصلاح بينهما.

- لا بل اتركوه يجرب الحياة بدوننا. هو سيأتى وحده.

قالتها بثقة متفائلة ضايقت سعيد، فاستأذن وعاد إلى منزل المزارعين.

ودخلت الأم تصلى وتحادث قطتها كالعادة.. اعتصرها يأس قاتل.. قلبت الامر على وجوهه. اختفت رنة التفاؤل التى حادثت بها سعيد منذ قليل.

انتابها صداع شديد.. تناولت قرص أسبرين واعدت كوبًا من الشاى جلست تحتسيه على مهل.

وضعت كوب الشاى الفارغ على المائدة أمامها، واسترخت فى الأريكة المجاورة. وغلبها النعاس.

مع اقتراب الشمس سطع ضوء النهار ناصعًا مبددًا آثار الليل - استيقظ الجميع. علموا بخبر هروب أحمد وأسرته. سادت الدهشة والوجوم وجوه أهل المزرعة، أما سوسن فقد أحست بالراحة.. فها هو ذا من حاول الحصول عليها بالقوة يغادر المكان فلا يمارس عليها ضغطا أو ابتزازًا. الآن يمكنها أن تعيش سعيدة مع زوجها الجديد حسام.

خرج ممدوح من الحمام، ليجد سوسن جالسة فى ركن الصالة الكبيرة.

- أعدى أنت الإفطار [illegible] تعبة قليلا.

انشغلت سوسن بالمطبخ بينما دخل ممدوح فالتقط غطاء من فراش أمه ووضعه عليها. تنبه إلى الصفرة التى اكتسى بها وجهها. نادى عليها:

- أمى.. أمى.

لم ترد عليه. هزها.. لا تجيب. أمسكها من معصمها.. جس النبض ليجده ضعيفًا، حينئذ صرخ فى حسام الذى كان واقفا يتأمل ما يحدث:

- أسرع يا حسام ائتنا بطبيب حالا..

خرج حسام مهرولا إلى السيارة الواقفة بالخارج.. أدار محركها وانصرف متجهًا إلى المستشفى القائم بالقرية المتوسطة لقرى الناحية. العجلة والارتباك أنسياه التأكد من صلاحية السيارة للطريق. كانت خالية من الوقود. توقفت بعد عدة كيلو مترات. تركها ووقف ينتظر عربة أخرى تقله. الطريق خال.. خال.. المكان موحش، أحس شبح الموت يقترب.. عزم على دفعه.. سار فى الاتجاه الصحيح.. يحث الخطى لو لم تسعفه عربة أخرى لوصل إلى المستشفى بعد ساعتين. القلق والتوتر جعلاه يتصبب عرقًا وقف يلتقط أنفاسه فوجىء باثنين من الشباب يتسابقان بدراجتين.. أوقفهما وشرح لهما الظروف.. سارع أحدهما بالنزول من على عجلته ومدها له.. قال الآخر له:

- سنعود سويًا.

عرف مكانهما ليعيد لهما الدراجة. انصرف شاكرًا، وعقله مشغول بالأحداث التى حملها الصباح إليهم.. هروب أحمد وأسرته، ثم مرض والدة المهندس وأم العاملين بالمزرعة بالتبنى والحب.. تمتم:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

وصل إلى المستشفى، استقبله الطبيب الذى تعود على ألا يبارح مكانه، فهو وحيد وسط هؤلاء الناس فكيف يترك المكان؟! وحتى لو كان هناك غيره ورغب فى ترك المكان.. إلى أين يذهب؟!

علم منه الأعراض التى رآها على المريضة. نهض وطلب منه مصاحبته بعربة الإسعاف.. ترك العجلة أمانة لدى خفير المستشفى وركب إلى جوار الطبيب.

الطريق طويل.. والصمت ثقيل. قطع حسام الصمت قائلا:

- هل بالمستشفى إمكانيات كافية لأى حالة؟

- نعم.

- أتعتقد أنها ستشفى؟

- بإذن الله. أراها أولا.

- تعطلت العربة، ولم أجد وسيلة للوصول إلى المستشفى إلا بصعوبة.. أخاف أن يتسبب هذا التأخير فى ضرر لها.

- لا تقلق.

- لا تعرف كم يحبها الجميع. هى أم لنا جميعًا..

- هذه سنة الحياة.. فى الشيخوخة يمرض الأنسان.

قالها الطبيب وانصرف إلى كتاب بيده يطالع فيه. أحترم حسام رغبته فى الهدوء.

ساد الصمت من جديد حتى وصلت العربة إلى البيت الذى أشار إليه حسام.

- ها هو ذا البيت.

غادر الطبيب العربة حاملا حقيبته بسرعة، بينما ظل السائق أمام عجلة القيادة فى أنتظاره. واستقبلهم ممدوح وقد أنهكه القلق والانتظار. سارع الطبيب إلى المريضة فى حجرتها وبدأ بفحصها. تعلقت العيون بشفتى الطبيب يقول فى وجوم:

- الضغط عال جدًا.

قال ممدوح:

- وما العمل يا دكتور؟

- لابد من نقلها إلى المستشفى.

أشار الطبيب إلى السائق الذى أحضر النقالة وساعده حسام وممدوح، ولم تمض دقائق حتى كانت العربة تغادر المكان حاملة الأم المريضة وبجوارها ممدوح وحسام. أما الطبيب فقد جلس بجوار السائق.

(١٩)

تسلل أحمد وأسرته تحت جنح الظلام إلى قرية قريبة حيث يقيم صديق له، وقد عزم أن يغير حياته.

استقبله صديقه استقبالا كريمًا هو وأسرته، وتعهد أن يساعده فى الحصول على أرض من المحافظة فى منطقة أخرى مثله فى ذلك مثل الفلاحين الفقراء القادمين من محافظات أخرى.

وفى الصباح ترك زوجته وأطفاله واصطحب أحمد إلى المحافظة.. ملأ بعض الأوراق وتلقفته أيدى المختصين حتى تم عمل اللازم له إذ كانت المحافظة بصدد توزيع دفعة جديدة من الأراضى.

عاد إلى أسرته بفرحة وأمل.. قالت زوجته:

- وماذا أيضًا؟

- سيعطوننا بيتا وماشية وركوبة.

- والأرض؟

- خمسة أفدنة.

- صالحة؟

- نعم قام تعمير الصحارى باستصلاحها.

- هذا كثير ولابد أن ثمنه كبير. كيف تدبر الثمن؟

- سيسقط الثمن على أربعين سنة يمكن فيها أن نحصل على عائد مناسب منها.

تأملت زوجة أحمد أبناءها يلعبون فى ركن الحجرة، تنهدت فى ارتياح ثم قالت:

- فضل الله عظيم.

وسمعت صوت هريدى ينادى عليه..

- محمود هريدى ينادى عليك.

- نعم الصديق.. سأذهب إليه لأرى ماذا يريد؟

تركها أحمد إلى صديقه، لتغمض عينيها وترى المستقبل القريب المشرق.

ترى الأمل يتحقق مبددًا اليأس الذى عاشت فيه لحظات مغادرتها مزرعة ممدوح قبل أن يستقبلهم هريدى. كانت كمن طرد من الجنة.. لكنها الآن أيقنت أنها لم تغادر الجنة إلا لجنة أفضل منها.

خرج أحمد من الدار حيث يقف هريدى. دعاه للجلوس على المصطبة المبنية.

جلس ليجده قد أعد مربعًا مرسومًا بالطباشير وقد رص بعض الحصوات قائلا:

- سأغلبك فى السيجة.

ابتسم أحمد وهو يتأمل المربعات الصغيرة البيضاء، ويعود بالذاكرة لأيام طفولته فى القرية الكامنة فى حضن التيل وصحبة أبناء القرية من الصغار والجرى وراء التوتة فى لعبة الاستغماية.

- فيم تفكر؟ تتردد فى اللعب؟

- لا.. لا هذه لعبة تسعدنى.

- إذن أرنى شطارتك.

وجلسا يحركان الحصى فى تأن وتؤدة وبتفكير سرعان ما تحول إلى حركة عفوية من جانب أحمد الذى راح بفكره إلى المزرعة، وأخذ يتساءل بينه وبين نفسه.

- ترى ماذا يقولون عن هروبى؟

تخيل كل شىء على النحو الذى تركه عليه.. لم يدرك ما أصاب الأم العجوز فى السن الشباب فى الحركة، ولاما أصاب أهل المزرعة من هم وكرب. ولو كان علم بما حدث لعاد إليهم ليقف إلى جانبهم بشهامة أهل الريف.

لكن المستقبل الآن يكاد يبتسم له ولا يجب أن ينظر إلى الوراء. عزم إذا هو تسلم الأرض واستقر به الحال أن يزور المهندس ممدوح وأهل مزرعته، وأن يطمئن عليهم ويطمئنهم عليه.

قال هريدى:

- غلبتك يا بطل.

- شىء عادى فقد تركت هذه اللعبة من زمن بعيد.

- الآن هيا نشترى بعض الأشياء من دكان فرحات.

تحسس أحمد جيبه الداخلى يرقد فيه بعض الجنيهات التى ادخرها، وفكر قليلا فوجد من الواجب عليه أن يطعم الأسرتين يومًا على الأقل بعد أن استضافتهم أسرة هريدى عدة أيام.

مشيا سويًا حتى وصلا إلى دكان صغير متواضع فاشترى من الحلاوة الطحينية والعسل والجبن ما تيسر، لكنه أحس برغبة فى تناول شىء من اللحم فقد مضى ثلاثة أيام لم يذق فيها لحمًا.

قال لهريدى:

- من أين تشترون اللحم؟

- اللحم اليوم غير متيسر، أما غدًا فيمكنك شراؤه من قرية أخرى تبعد عنا عشرة كيلو مترات.

عادا سويًا ليتناولوا العشاء، ويتذكر كيف كان المهندس ممدوح يوفر عليه مشقة البحث عن طعام.

(٢٠)

انتحى المساعد الأول بالطبيب يسأله عن حالة الأم الراقدة بالمستشفى فى غيبوبة لا تفيق منها رغم محاولات الطبيب المخلصة.

قال له الطبيب:

- يبدو أنها النهاية.

أصاب المساعد شىء من الذعر رغم توقعه ذلك وعاد إلى المزرعة مهمومًا بعد أن ترك المهندس ممدوح بجوار أمه، سرح بفكره قليلا متخيلا مراسم الجنازة، وتساءل هل يترك الأمور تسير هكذا دون إعداد؟

هل تدفن الأم تحت الرمال الواسعة؟

وصمم فى لحظات أن يبنى قبرًا ودعا الله أن يستطيع إتمامه قبل أن تفيض روحها. فى الحال تجمع الرجال وأفهمهم المطلوب منهم، كان عليهم أن ينقلوا الطوب وأن يحفروا الأرض. قال أحدهم:

- هل الحالة خطيرة إلى هذه الدرجة؟

قال المساعد:

- الأعمار بيد الله، والمهندس ليس فى حالة تسمح له بالتفكير فى هذا الأمر. علينا أن نعد كل شىء فى خلال يومين على الأكثر.

وعمل أهل المزرعة وقد علت وجوههم كآبة أنستهم زميلهم أحمد والتفكير فى مصيره، كما أنستهم سليمان الذى لم يعد ولم يأت عنه أى خبر.

عمل الجميع فى صمت وسؤال يدور فى رءوسهم:

- من يشغل مكان الأم؟

وظل السؤال يتردد من رأسى إلى رأس دون إجابة، وإن كانت

السيدات الباقيات فى المزرعة وضعن حلاً مؤقتًا بتوزيع العمل بينهن على أمل أن تعود الأم، فتحمل عنهم عبء المسئولية.

لكن الأمر يختلف والرجال يبنون القبر فى هذه الأرض البكر.

وصل حسام ليرى ما يجرى.. قال على الفور ليكن قبرًا صالحًا لأى شخص، فليس من المعقول أن يبنى لكل واحد منا قبر. وأعجب الرجال هذا الرأى وجرى العمل بنشاط لإتمامه.

وفى المستشفى أخذ المهندس ممدوح يتحرك بجوار فراش أمه بقلق. المحاليل المعلقة والأكسجين بجوارها.. كل هذا لم يفلح فى إفاقتها.

غادر الحجرة ليخفف من حدة توتره. ذهب إلى حيث يجلس الطبيب يستقبل مرضاه.. الحجرة واسعة ساكنة.. يطل من جانب دولاب صغير أبيض، ومن جانب آخر سرير الكشف النظيف، وفى ركن ثالث جلس الطبيب على مكتبه. والممرضة الوحيدة تتجول بين حجرات المستشفى الخالية.

قال ممدوح:

- هل المستشفى خالية هكذا دائمًا؟

ابتسم الطبيب قائلا:

- هنا يحاول الأهالى علاج أنفسهم بأنفسهم بالوصفات البلدية.

- هذا أمر خطير.

- بالإضافة إلى ذلك يجد البعض صعوبة فى الانتقال إلى المستشفى، وأنت ترى.. مستشفى واحد يخدم عدة قرى.

- عدد سكان كل قرية محدود.

- لكن المساحة العمرانية واسعة.

- والحل؟!

أفكر فى الانتقال إلى القرى بنفسى، فأوفر على الأهالى مشقة الانتقال.

- هذا عظيم.. قواك الله.

لم يكد الحديث بينهما يتم حتى دخل إلى المستشفى أسرة كاملة. الأب والأم والأولاد فى حالة إعياء شديد. وما أن سمع الطبيب لشكواهم حتى شخص حالاتهم بالتسمم وشرع فى اتخاذ اللازم.

قال ممدوح مبتسمًا:

- حسدناك على قلة العمل.

ابتسم الطبيب واستمر فى عمله فى حماس وإيمان، تعاونه الممرضة التى ملت الكسل والفراغ.

عاد ممدوح إلى فراش أمه التى لا يفرق بينها وبين الأموات إلا أنفاس ضعيفة متقطعة. أخذ يتأملها محاولا طرد الأفكار السوداء من رأسه، لكن شبح الموت أخذ يطارده.

عاد يسترجع كلمات أمه تحثه على الزواج وكأنها تطلب منه القيام بعمل مهم وليس مجرد استقرار أسرة. تذكر أمه فى حركتها الخفيفة وابتسامتها العذبة.

وعاد يتأملها من جديد ليفيق على الواقع المؤلم.. لكن سرحته هذه كان يغذيها احساس بقرب عروسه. إذ كانت هى وأمها فى تلك اللحظة تحلقان فى الطائرة فوق مطار المدينة استعدادًا للهبوط بعد أن وصلتها رسالة منها، فيها ما يكفى لتوطيد علاقة الأسرة برباط قدسى متين.

ومضى وقت بطىء متكاسل قبل أن يدخل حسام متقدمًا خالته وابنة خالته محاولا تغيير جو الكآبة التى أصبحت تغلف حياتهم.

- المدد يا أفندم.

التفت ممدوح، فألجمته المفاجأة.. وقف لحظات قبل أن يلقى برأسه فى حضن خالته التى أخذت تربت على رأسه فى حنان.

اقتربت عزة من خالتها المريضة. انحنت عليها تقبلها. هالها ما انبعث من جسدها من زائحة غريبة. أيقنت أنها رائحة الموت.

فارقت دمعة ساخنة أبت أن تظل حبيسة الجفون، مسحتها فى سرعة محاولة اخفاء جزعها.

التفت إليها ممدوح قائلا:

- كانت تتوق لرؤيتكم. كم أتمنى أن تفيق للحظات فتراكم.

قالت الخالة:

- ربنا قادر على كل شيء.

وجلسوا جميعًا حولها فى صمت ثقيل قطعه حسام قائلا:

- خذ الضيوف، فتناولوا الغداء فى البيت واتركونى معها حتى المساء.

ووجد ممدوح فى ذلك علاجًا لضيقه وتوتره، فنهض داعيًا لهما بالعودة إلى المنزل.

وغادر الجميع مبنى المستشفى، وما أن خرج ممدوح للخلاء حتى استنشق نفسًا عميقًا أخرجه بعد لحظات محملا بالهموم والأحزان فتخفف من حمل ثقيل على صدره.

(٢١)

أما أحمد، فلم يضيع وقته سدى. وإنما عمل مع صديقه فى حقله وفى نفس الوقت كان يتابع الطلب الذى تقدم به إلى إدارة التهجير، وها هو ذا يتلقى خطابًا يخبره بالاستعداد للرحيل. زف البشرى لزوجته التى شرعت فى الحال تجمع أشياءها وهى شاردة ساهمة لا تدرى ماذا يخفى لها القَدَر. وظلت كذلك طوال يومها ومسائها حتى تأخر بها الليل فعلبها النوم فإذا بها تنام نومًا مؤرقًا لا تدرى له سببًا..

قال لها زوجها وهى تنهض لصلاة الفجر:

- هل أنت فى حالة حسنة اليوم؟

- الحمد لله على أى حال.

وجد أحمد فى رنة صوتها حزنًا مكتومًا لم يدر له سببًا.. جلست بعد الصلاة بجوار الأمتعة المتراصة، بينما حضرت زوجة صاحب البيت فوقفت بجوار الباب الموارب قائلة:

- ستوحشونا.

قالت زوجة أحمد:

- يعلم الله أننى لا أصبر لى على فراق الأحبة.

قالت صاحبة البيت:

- سأراقب الطريق وعربة التهجير فإذا ما حضرت أخبرتكم.

وتركتهم وانصرفت إلى مدخل البيت، بينما عاد أحمد إلى مراقبة زوجته العابسة قائلا:

- ماذا يضايقك؟

- حلمت حلمًا مزعجًا.

- قولى.. خير إن شاء الله.

- لكنه ليس خيرًا.

- كيف؟

- رأيت أم الباشمهندس ممدوح.

- كنت تفكرين فيها، وقد رأيتها.

- لكنها كانت ميتة.. نعم ويدفنونها.

- أعوذ بالله.

- أنت تعرف كم كنت أحبها، وكم كنت أتحمل من أجلها.

- لعلها مريضة.

- ولعلها ماتت.

- وإذا كان هذا ما حدث، فهل أنت قادرة على تغيير شيء؟!

- لا.. إنها إرادة الله.

- اذن فكرى فى أمرنا.. فى مستقبلنا.. فى القرية الجديدة التى سوف نستقر فيها.

- أرجو من الله أن يعوضنا عما فاتنا خيرا.

- بإذن الله.

وسارت لحظات صمت قطعها صوت صاحبة البيت مهللا مستبشرًا مناديًا لأسرة أحمد التى هرعت تحمل أمتعتها، فوضعتها بداخل العربة الجيب التى وصلتا توًا لحملهم، ورفع أحمد أبناءه الواحد تلو الآخر يقذف به بجوار الأمتعة حتى فرغ، وعاد إلى مضيفه الذى وقف مودعا ومعه بعض جيرته.. وسط تلك المشاهد للوداع إذا بزغرودة مدوية تنطلق من بيت مجاور.

لم تتحمل زوجة أحمد تلك العاطفة الجياشة والانفعال الكامن فى أعماقها فتركت دموعها تتساقط على خديها.

ساعدها أحمد فى الصعود إلى العربة الجيب ثم جلس بجوارها، بينما جلست موظفة المحافظة بجوار السائق.

وانطلقت العربة مشيعة بالزغاريد حتى غادرت أبنية القرى المحيطة

وخرجت إلى الطريق العام تنوء بحملها، وتسير حثيثًا لتلحق بعربات أخرى فى الانتظار، وفى المدينة الكبيرة وقف الركب ضمن الآخرين وانضم إليهم العديد من العربات القادمة من وادى النيل العتيق الذى ضاق بسكانه فانفصل عنه بعض المزارعين المتحمسين ليساهموا فى إنشاء قرية جديدة بذلك الوادى الجديد الرحب.

وما هى إلا ساعة أو بعض ساعة حتى استأنف الركب الرحلة من جديد نحو الجنوب. لكنه الآن ليس عربة واحدة وإنما مجموعة من العربات بينهما أتوبيس وعربتان للنقل تحمل أمتعتهم.

وارتفع صوت من خلف مكبرات الصوت يعلن عن بدء التحرك نحو القرية الجديدة.

وبدأت العجلات تسير على أصوات الموسيقى المرحة المنبعثة من المكبرات وزغاريد النسوة اللاتى كن فى فئة المعدمين بالأمس، أما اليوم فقد أصبح لهن ملك من أرض ودار وزرع وضرع.

انشغلت زوجة أحمد بابنتها الصغرى التى غلبها النوم رغم حركة العربة المهتزة بشدة. أراحت رأسها على جانب الأريكة وغطتها بجلباب قديم كان قريبًا منها، بينما انشغل أحمد فى تأمل الطريق الممتد بين مساحات شاسعة صفراء قلما يتخللها اللون الأخضر.. وبرز سؤال فى رأسه.

- ترى هل يغشى اللون الأصفر تلك القرية الجديدة التى يتأهبون للنزول بها؟ وتذكر كلمات موظف المحافظة وهو يؤكد أن هيئة التعمير قامت بأستصلاح الأرض. تنهد أحمد وهو ينظر للمستقبل بتأمل.

ولم يمتد الصمت كثيرًا حتى اقترب الركب من قرية قديمة خرج أهلها على الطريق يحيون السكان الجدد ويعلنون عن فرحتهم بالزغاريد.

قالت زوجة أحمد:

- حينما خرجت من قريتنا لم أكن أتصور أن يحدث لنا كل ذلك.

- وماذا حدث لنا؟

- ننتقل من مكان إلى مكان.. أرجو أن نستقر.

- بإذن الله.. بإذن الله.

ووصل الركب إلى المكان الموعود .. بيوت قليلة تعد بالعشرات يشغل بعضها سكان جدد والبعض الآخر ينتظر هذا الركب أن يهبط من العربات ويحمل أمتعته ويأوى بداخله محتميًا من حرارة الشمس.

استقبلهم عدد من السكان، وشيخ للقرية، وموظف من المحافظة. وبدأت الإجراءات فى التسليم. وما هو إلا زمن قصير حتى كان أحمد وأسرته بداخل بيت نظيف من حجرتين ومرافقها.

وما أن تعرفت الزوجة على إسكان البيت حتى عادت تقول:

- بالبيت دجاجات.

ورد ابن أحمد الأكبر الذى اختفى لحظات ليعود بعدها قائلا:

- بالبيت جاموسة.

وانطلقت زغرودة من زوجة أحمد لأول مرة بعد أن كانت تكتفى بالاستماع إليها، وهلل أحمد وهو يجلس على المصطبة وقال:

- الحقيقة لا ينقصنا الآن سوى براد شاى.

حينئذ اقتربت جارة شابة، وقالت وهى تخفى وجهها بطرف طرحتها:

- الشاى والسكر موجود لديكم.

وقادت زوجة أحمد لتعرفها على معالم البيت، ومعالم القرية، وكيف تحصل على احتياجاتها.

وبعد دقائق كانت الأسرة تجلس فى حلقة سعيدة تحتسى الشاى وتفكر فيما يجب عمله بعد ساعة أو أيام.

(٢٢)

صرخت عزة فرحة عندما رأت خالتها المريضة تفتح عينيها وتنادى ممدوح.

حضر ممدوح الذى كان جالسًا بجانب الطبيب ليقبل أمه التى بدت وكأنها شفيت. حضر الطبيب خلفه.. رينت على كتفه وطلب منه أن يبتعد عن الفراش. نظرت أم المهندس إلى عزة وهى واقفة بجوارها وعلت شفتيها ابتسامة هزيلة، شهقت بعدها للمرة الأخيرة وأسلمت الروح.

جلس ممدوح منهارًا إلى جوارها، بينما أطرق الطبيب متأثرًا بمشاعر الأسرة يقاوم رغبة فى مغادرة المكان، حتى أقبلت الممرضة تعلنه بمقدم شيخ من شيوخ العرب مصاب بلدغة عقرب.

حينئذ نهض مستعيدًا نشاطه والتفت إلى المهندس ممدوح قائلا:

- شد حيلك يا باشمهندس.

ولم تستغرق الإجراءات وقتًا، حتى كان الجسد المسجى فى البيت تحيط به النسوة، بينما أنشغل الرجال فى إعداد البقية الباقية من المقبرة.

وتحركت أم عزة كسيدة خبيرة بهذه الأمور، والتف حولها النسوة والرجال حتى أتموا مراسم الجنازة على نحو مناسب ثم جلس الرجال فى جانب والنساء فى جانب يستقبلون المعزين من القرى المجاورة.

بدأ التعب والارهاق واضحين على جبين سوسن التى كانت تتصرف كالمسئولة الأولى فى البيت بعد مشورة خالة ممدوح.

قالت لها واحدة من النسوة:

- لو كانت زوجة أحمد هنا لتحملت بعضًا من هذا العناء.

قالت أخرى:

- كانت المرحومة تحبها حبًا جمًا.

قالت ثالثة:

- ترى أين هى الآن؟

أسئلة كلها حول زوجة أحمد التى كانت فى الليلة السابقة تهيم بروحها حول المزرعة ورأت ما رأت، الأمر الذى عكر عليها صفو حياتها حتى تسلمت البيت والأرض فى اليوم التالى، وبدأت تنأى بعقلها وروحها عن أحاسيس الأمس. كل ذلك ولا أحد فى المزرعة يعلم أين مستقر الأسرة الهاربة، وإن كان الحديث تناول السبب فى الهروب وما أصاب أحمد من إهانة بسبب تلك العصا اللعينة.

حينئذ قال أحد الفلاحين:

- الأمور التى نعيشها الآن أنستنا التفكير فى سليمان.

جاء ذكر سليمان فى لحظات الحزن فزادها مرارة، وتضخم سؤال كبير حوله..

- ترى أين هو الآن؟

- ترى أهو حى أو ميت؟

- أيعود؟

وظلت الأسئلة بلا جواب حتى وقت متأخر من الليل. القلق أبعد النوم عن عيون أكثر سكان المزرعة.

ووقف ممدوح بالنافذة يراقب الفضاء الواسع الفسيح والسماء ترصعها النجوم.. تذكر كيف كانت المركبة الفضائية تزور المكان من وقت لآخر، وكيف كانت تقابله تلك الحسناء. وتساءل:

- ترى أتعود من جديد؟!

وبينما هو فى هذه الذكريات لا يستطيع لها مقاومة إذا بالضوء الباهر يأتى من بعيد.

- إنها هى..

قالها فى فرحة وتمنى لو تقترب.

ويقترب الضوء ويقترب حتى يلامس الأرض، وتتحول الكتلة المضيئة إلى كتلة مظلمة.

حينئذ خرج من البيت مهرولا ناحية المركبة.. اقترب منها فى خوف.. تتزاحم فى رأسه أحداث اليوم الذى مضى ومراسم جنازة الأم.

الموت نهاية كل شىء. لابد أن يكون شجاعًا فى أى وقت. ووجد نفسه ينادى:

- سليمان.. سليمان.

ولم يسمع صدى لصوته أو مجيبًا.

أعاد الصراخ:

- سليمان.. سليمان..!

حينئذ ظهرت الحسناء أمامه بردائها الفضى.. وبعد قليل لحق بها رجل كهل متعثر الخطى، لكنه يختلف عن تلك الكائنات.

وقف ممدوح أمام حسناء الكوكب متسائلا:

- أين سليمان؟!

- ها هو.

وأشارت إلى ذلك الرجل الكهل.

- لا.. لا..

غطى ممدوح وجهه بكفيه وهو لا يكاد يصدق ما يرى، الكهل به بعض الضوء الذى يتشابه مع هذه الكائنات.

قال صارخًا:

- لا.. لا..

- بل هو بعد أن أجرينا عليه بعض التجارب.

- لكنه لا يقوى على الوقوف.

- يحتاج للراحة.

اقترب منه ممدوح وأمسك به.. سأله:

- هل أنت سليمان؟!

نظر إليه الكهل بنظرات بلهاء، ولم يرد.

قالت الحسناء:

- سيستعيد صوابه بعد أيام.

صرخ ممدوح:

- أنتم خونة.. خونة.

قالت الحسناء فى برود.

- لماذا؟

- أخذتم رجلا انتهى على أيديكم.

- لكننا تأكدنا من شىء مهم.

- ما هو؟

- أن باستطاعتكم على مدى أجيال أن تعيشوا معنا على كوكبنا.

هم ممدوح بالامساك بتلك الحسناء من رقبتها، لكنها تبعثرت فى الهواء وتلاشت، وفى تلك اللحظة سقط سليمان على الأرض.

التف المزارعون حوله من رجال ونسوة ويحاولون إفاقته، بينما التفت ممدوح إلى أحدهم يأمره بإحضار السيارة بسرعة.

وفى زمن وجيز كان سليمان ممدًا فى حجرة خاصة بالمستشفى الكبير، والطبيب يفحصه بعينيه ويديه بينما أذنيه مع المهندس ممدوح الذى أخذ يقص عليه قصته وهو يلهث، وكأنه يسابق الموت ويريد أن يصرعه.

وبعد أن انتهى الطبيب من الفحص قال له:

- هذه الحالة غريبة، لكن لا يجب أن تقلق.

- لكن..

- أعلم أنك خارج من ظروف وفاة أمك منذ أيام.

- ليس الأمر كذلك فحسب.

- لديك شعور بالذنب؟!

- نعم.

- فلأعالجك انت أيضًا.

- كنت تشكو قلة المرض فإذا بالله يرزقك أنواعًا من المرض لم تر مثلها من قبل.

- هل ترى أنك وسليمان مريضان بأمراض لم ندرسها أو نقرأ عنها؟!

- أعتقد ذلك!!

- اترك لى فرصة، وتناول ما أكتبه لك من علاج.

قالها وهو يكتب له تذكرة العلاج، بينما المهندس يتمتم بدعوات لله أن يوفق الطبيب، ويشفق على نفسه وعلى سليمان مما هما فيه.

وحصل على الدواء المدون بالتذكرة من صيدلية المستشفى وانصرف عائدًا إلى البيت تاركًا سليمان تحت رعاية مركزة من الطبيب الذى يرى نحوه شيئًا جديدًا يحفزه على النجاح ليس للحفاظ على حياته فحسب وإنما لعمل شىء جديد.

وفى هدأة الليل كان البيت ساكنًا مظلمًا يلفه صمت يقطعه من حين لآخر دعوات مؤمنة تارة ونحيب مكتوم تارة أخرى.

وظل ممدوح واقفًا أمام نافذة حجرته حتى تبدد الظلام وانتشرت أنوار الصباح متباطئة متكاسلة.. أرهف السمع ليلتقط أصواتًا من هنا وهناك، جلبة خفيفة تزداد مع انتشار الضوء، وتظل تزداد وتزداد كعادتها حتى يتحول الضوء الأبيض إلى حرارة محرقة بفعل شمس لا يحجبها عن الأرض حجاب.

وتبدأ أصوات الجلبة فى الخفوت انسحاقًا من أثر الحرارة والتعب والعرق. تخيل كل ذلك ولم تزل الشمس بعيدة باردة تبعث بضوء بلا حرارة.

وفجأة تذكر العروس حينما سمع ضحكة سوسن آتية من ناحية حجرة عزة ابنة خالته.

جلست سوسن تزين عزة للزفاف بعد أن عقد ممدوح قرانه عليها منذ أيام.

نظرت الأم الحزينة إلى ابنتها، وتمنت لو أن زفافها كان أكثر بهجة.

قال المساعد الأول للمهندس ممدوح:

- أقترح عليكما أن تقضيا وقتًا بعيدًا عن المزرعة تنسيان فيه ما مر بكما من أحزان.

وأصاب اقتراحه قبولا فى نفس ممدوح، الذى سرعان ما أمر حسام بإعداد العربة وقامت خالته بإعداد حقيبة خفيفة. قالت سوسن:

- إلى أين؟

قال ممدوح:

- لست أدرى.. نخرج أولا من هنا وبعدها نقرر، ولن نعود إلا بعد أن نغسل نفسينا مما ألم بنا.

ولم يمض وقت طويل حتى كان العروسان يجريان بالعربة على الطريق تاركين المزرعة تسير سيرها العادى. كل يعرف عمله ويعرف حقه وكأن شيئًا مهمًا لم يحدث بالأمس وكأن شيئًا لا يعنيهم يحدث اليوم.

وفى طريقهم أطل مبنى المستشفى الكبير، فتذكر سليمان وتراءت له صورة أمه قبيل وفاتها. وجد فى نفسه رغبة فى أن يزور سليمان، لكن شيئًا ثقيلا يطبق على صدره يكاد يمنعه من الدخول إلى المبنى.

تأملته عزة وفهمت ما يدور برأسه قالت:

- لن تستطيع قضاء إجازة سعيدة من غير أن تطمئن عليه.

حينئذ نزل من السيارة وقد ملأه حماس غريب، وهمت عزة بالنزول معه، لكنه أشار إليها بانتظاره فى مكانها بالسيارة.

ودخل من باب المستشفى متعجلا قلقًا ليستقبله الطبيب الشاب قائلا:

- تسأل عن صديقك!

- نعم.

- هو بخير، لكن..!

- لكن ماذا؟

- يحتاج إلى إمداد بالدماء، وقد طلبنا من بنك الدم ولم تصل.

حينئذ تلعثم المهندس الذى ترك زوجته بالخارج تنتظره وقال:

- هل عرفتم أى فصيلة من الدم هو؟ أو أن دمه أصبح شيئًا غير مألوف على هذه الأرض بعد تلك الزيارة الغريبة إلى المجهول.

- لا، دمه لم يتغير وإن كان يعانى من نقص شديد منه.

ووجد ممدوح نفسه يشمر عن ساعديه قائلا:

- إذا كان دمى يصلح له، فيمكنك أخذ شىء منه.

ابتسم الطبيب، بينما أخذت يداه تعملان فى همة لمعرفة فصيلة دمه. وبعد دقائق قال له:

- يمكن الاستعانة بدمائك.

واستلقى ممدوح على فراش بجانب سليمان الذى أخذ يتأمل ما يجرى بعين يكاد بريقها ينطفئ من شدة الهزال.

وظلت الدماء تنساب من جسد إلى جسد عبر الأنابيب التى أعدت لذلك.. حتى أحست عزة بالقلق، فتحركت تبحث عن زوجها الذى غاب فى مهمة كانت تتوقع ألا تستغرق سوى دقائق.

جلست بجانبه على مقعد خشبى حديث، وهمت بالحديث إليهما لكن الطبيب قطع عليها أفكارها قائلا:

- عشر دقائق أخرى وتستأنفان رحلتكما.

- وهل يكون فى حالة تسمح له بقيادة السيارة لمسافات بعيدة؟

تأملها الطبيب مفكرًا ثم قال:

- أعتقد ذلك، وإن كنت أفضل أن تؤجلا الرحلة.

استمعت إليه، والتفتت إلى سليمان الذى بدا أكثر صحة عن ذى قبل وعادت ببصرها إلى ممدوح قائلة:

- إذا كان الفائض من زوجى لا يكفى، يمكننى أن أوفر الباقى سواء منى أو من أحد العاملين بالمزرعة. لكن أرجو أن تراعى الكمية التى تخرج من شرايين ممدوح حتى لا يصح المريض ويمرض السليم.

وابتسم الطبيب وهو ينهى عملية نقل الدم، بينما تقدم الممرضة لممدوح زجاجة لبن وبعض المأكولات. تناولها بفرح وسعادة من أتى عملا جديرًا بالاحترام.

قالت عزة:

- أعتقد أننا لن نغادر المزرعة لعدة أيام.

ابتسم ممدوح قائلا:

- أعتقد ذلك.

وعادا إلى المزرعة وصورة مركبة الفضاء الغريبة تطل من وقت لآخر برأسه، وعزم أكيد ينبعث من كيانه. عزم على ألا يلتقى بهذه المركبة مرة أخرى وسؤال يلح عليه:

- هل أخبر من يوفر علينا مطاردة ذلك الطبق الطائر الغريب.

والتفتت إليه عزة، وكأنها تقوى عزيمته على ما توصل إليه من رأى.

المؤلفة فى سطور

كوثر عبد الدايم على

١- من مواليد القاهرة - عابدين.

٢- حاصلة على دبلوم المعلمات العامة وليسانس الحقوق.

٣- عملت مدرسة وأمينة مكتبة وباحثة ومحققة قانونية ومديرة إدارة قانونية وهى بالمعاش حاليًا.

٤- عضو اتحاد الكتاب وعضو نادى القصة بالقاهرة.

٥- صدر لها بعد أن نشرت العديد من الأعمال فى الصحف والمجلات المصرية حب وظلال.. رواية - شباك وستائر مجموعة قصصية.. جهاز ط ح أ مجموعة قصصية

ولها أعمال أخرى تحت الطبع

٦- حصلت على جائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب عن مجموعتها شباك وستائر وكذا كأس القبانى عن نفس المجموعة.